

سلسلة تقارير أسبار

رقم (7)

أكتوبر 2015

ردمدم : 2961-4074

ISSN: 2961-4074

رقم الإيداع : 1446/3664

مستقبل الخطاب الديني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية

إعداد/ لجنة التقارير



ملتقى أسبار

Asbar Council

(نادي تفكير)



مركز أسبار
ASBAR CENTER

31
عامًا
Since 1994



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تقرير يصدر عن ملتقى أسبار

- رئيس الملتقى:
- د. فهد العرابي الحارثي
- رئيس الهيئة الإشرافية للملتقى
- د. خالد بن دهيش
- الأمين العام
- د. أماني البريكان
- التحرير
- د. إبراهيم إسماعيل عبده
- التصميم والإخراج:
- أ. صفوان يحيى مسعد





تمهيد

يعرض هذا التقرير قضية مهمة تم طرحها للحوار في ملتقى أسبار خلال شهر أكتوبر 2015م، وناقشها نخبة متميزة من مفكري المملكة في مختلف المجالات، والذين أثروا الحوار بأرائهم البناءة ومقترحاتهم الهادفة؛ حيث تناولت: " مستقبل الخطاب الديني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية ".





المحتويات

• الموضوع	• الصفحة
• تمهيد	1
• الورقة الرئيسية: د. عبدالرحمن الهدلق	3
• التعقيبات	6
• المداخلات حول القضية	15
• المبالغة في وصف الحالة	15
• محددات ضرورية لفهم واقع ومستقبل الخطاب الديني	19
• أسباب تشدد الخطاب الديني	21
• أسباب تضخم الخطاب الديني وغياب الخطاب التنويري والليبرالي المعتدل	24
• تقصير النخب الثقافية والسياسية	28
• بداية تفعيل الخطاب الديني المعاصر	30
• الواقع الحالي للخطاب الديني في المشرق العربي	32
• المستقبل المنظور	32
• الخطاب الإسلامي والسياق السياسي الدولي	37
• الجدل حول داعش وعوامل تدعش الشباب	40
• وزارة التعليم والأنشطة المضادة لفكر داعش	42
• الجانب الأمني آخر الحلول	44
• الاختبارات النفسية الفكرية واكتشاف بؤادر التدعش	47
• المشاركون في نقاشات التقرير	49



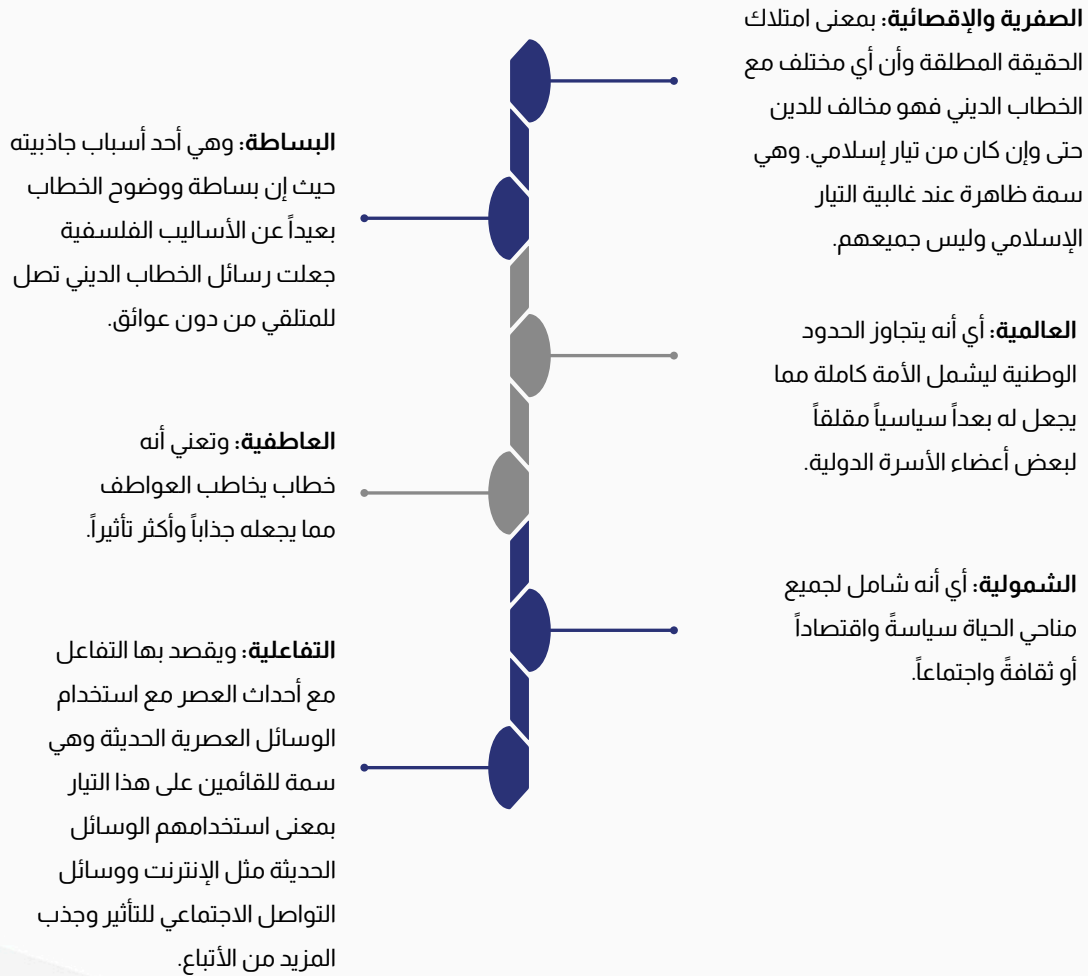
الورقة الرئيسية: د. عبدالرحمن الهدلق

عرض د. عبدالرحمن الهدلق ورقة عمل حول مستقبل الخطاب الديني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية. حيث استهلها بالإشارة إلى أنه ومع التغيرات الإقليمية والدولية التي يشهدها العالم والمنطقة خاصة بعد ما يسمى بالربيع العربي عاد الاهتمام بالخطاب الديني بسبب تأثيره الفعال على شعوب المنطقة، بل تجاوزها إلى دول الغرب التي وصلها نسخة من الخطاب الديني المتطرف تأثرت بسببه المنظومة الأمنية والسياسية مما جعل الخطاب الديني "الإسلامي" محط الأنظار فُعقدت المؤتمرات الدولية وورش العمل الإقليمية للتوصل إلى وسائل حول كيفية التعامل معه ومواجهته، بل تم تكوين لجان في معظم دول المنطقة للتعامل معه، وأصبح محل اهتمام قيادات بعض الدول كمصر وغيرها التي رأت أن خطابات كهذه تقف خلف حالة عدم الاستقرار التي تشهدها المنطقة.

إن من المهم تحرير مصطلح الخطاب الديني وتوضيح دلالاته لمزيد من التحديد والدقة. فالخطاب الديني شأنه شأن أي مصطلح في العلوم الاجتماعية تتعدد تعريفاته لتتجاوز العشرات وفقاً لخلفية المُعرف له والظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمصطلح. فتعريف التيار الليبرالي وموقفه من الخطاب الديني ومفهومه وتوصيفه يختلف إلى حد التضاد والتناقض مع تعريف التيار الإسلامي للخطاب الديني وفقاً لقيم وتطبيقات ذلك التيار. وأضاف د. عبدالرحمن الهدلق أن التعريف المقصود بالخطاب الديني "الإسلامي" إجرائياً قد يختلف مع الكثير من الكتاب وفقاً لطيف كل واحد منهم. فالخطاب الديني في رأيه عبارة عن "مفاهيم ونصوص يتم إرسالها عبر عدد من الرسائل المكتوبة والمقروءة والمرئية والمسموعة بهدف التأثير على المتلقي انطلاقاً من مرجعية إسلامية غالباً ما تستند على الكتاب والسنة". وهذا الخطاب الموجه للمتلقى يتراوح بين التشدد والتسامح تحكمه في الغالب قيم وأفكار المصدر الذي عادة ما يكون متأثراً بأحد المدارس التي ينتمي إليها سواء مدارس تقليدية أو سلفية علمية أو سلفية حركية أو جهادية أو إخوانية أو تبليغية أو ليبرالية إسلامية... إلخ فكل مدرسة من تلك المدارس خطابها عبارة عن نتاج لمنهجها وقيمها فنجد المدرسة السلفية بعمومها تركز في خطابها على مفهوم التوحيد وضرورة التصدي للشرك والبدع بينما خطاب المدرسة الجهادية متركز على المفاهيم الجهادية التي تروج لاستخدام العنف والقوة كمنطلق لإعادة العزة والكرامة للأمة والذي بدوره يتناقض مع المدارس الأخرى كالتبليغية التي تستند على المنهج الوعظي الروحاني ذي النزعة الصوفية أو المدرسة الإخوانية التي تنزع إلى الخطاب السياسي تحت مسمى الإسلام هو الحل.



وكما تم الإشارة فإنه رغم الزعم بوحدة المرجعية إلا أن الخطاب الديني متعدد المنطلقات والمفاهيم والمواقف تجاه الواقع مستخدماً المحاضرات والمقالات والفتاوى والخطب كأدوات فعالة لإيصال رسائله عبر وسائل الاتصال الحديثة، إلا أنه تجمعه بعض السمات -على الأقل عند الغالبية- ومن تلك السمات بشقيها السلبي والإيجابي:





هذه بعض السمات والخصائص لبعض أطياف التيار الإسلامي ومدارسه إلا أن هناك تيارات أخرى كالليبرالية والعلمانية، خاصة المتطرفة منها، ترى أن الخطاب الديني هو أساس كل الإشكاليات المعاصرة وأنه آن الأوان لتفكيكه ونسف مبادئه وتجديده لقناعتهم بأن الخطاب الديني المعاصر خطاب ظلامي، لا عقلاني، تغيبي، انعزالي، متعصب، متطرف، جامد، تحريمي، إقصائي، أحادي. ونحسب أن مثل هذه النظرة السوداوية التعميمية لن تحل أي من إشكاليات الخطاب الديني بل ربما تدفعه إلى التقوقع والانعزال والمزيد من التشدد ورفض أي محاولات تجديدية لأن أنصار الخطاب الديني يرون أن من يقف خلفها خصوم لهم.

أن المتغيرات الإقليمية والدولية لا شك تؤثر وتتأثر بالخطاب الديني، فخطاب الجماعات المتطرفة أثر في معظم المجتمعات بصورة سلبية أضرت بسمعة الإسلام ودول المنطقة، وهو كذلك تأثر بما يجري من أحداث وتدخلات وممارسات وحشية في المنطقة زادت من خطاب الكراهية للآخر. إضافة إلى أن الممارسات الطائفية في المنطقة ضاعفت من حدة الخطاب الطائفي عند معظم الأطياف الدينية ... ونحسب أن مستقبل الخطاب الديني مرتهن بما سيجري من أحداث وحروب وصراعات في المنطقة ومستقبل الدور الإيراني الذي ستلعبه في المنطقة خاصة بعد الاتفاق النووي، وأنه سيتأثر بالسياسات الغربية التي بدأت تتغير لصالح النظام السوري. وما لم تتم معالجة الأوضاع وحل الإشكاليات في المنطقة فمستقبل الخطاب الديني سيشهد مزيداً من التشدد والتطرف على حساب قيم ومفاهيم التسامح والعدالة والاعتدال والحوار ... إلخ، والتي من المفترض أن تكون من أهم القيم التي ينبغي للتيار الديني أن يتكى عليها.

التعقيبات

التعقيب الأول: د. فاطمة القرني

أعدت د. فاطمة القرني التعقيب الأول على ورقة د. عبدالرحمن الهدلق حول مستقبل الخطاب الديني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، واستهلت تعقيها كما يلي:

1. عمم د. الهدلق في القول بأن سمة الإقصائية ظاهرة عند غالبية التيار الإسلامي ؛ ولا أحسبها كذلك .. بل هي غالبية على التيار المتشدد منه فحسب.

2. موضوع الخطاب الديني كما ذكر د. الهدلق أطول وأشمل من أن يُحصر طرحه في ورقة واحدة مختصرة ومن هنا فسأكتفي بتناول الجانب الإعلامي من تجليات هذا الخطاب على أمل أن تتضمن المداخلات التالية طبيعة تأثيره سلباً وإيجاباً في مجالات أخرى (كالتعليم والصحة والتخطيط إلخ) كلٌ بحسب تخصصه.

3. أنفق مع د. الهدلق فيما انتهى إليه من أن واقع الحال الإقليمي والدولي لا يبشر بأن تغييراً إيجابياً سيطال طبيعة الخطاب الديني لدينا في المنظور القريب بصورة ملموسة.

4. أجد أن التنبؤ بالاتجاهات المستقبلية أو اقتراح التوصيات المعالجة لمشكلات هذا الخطاب تحتاج ابتداء لرصد سماته الحالية التي أثرت ولم تزل في توجهات الشباب لدينا إقبالاً وإدباراً .

وسأقصر وقفاتي هنا على ملامح هذا الخطاب إعلامياً عند كل من طرفي النقيض : الإسلاميين المتشددين والليبراليين العلمانيين ؛ وذلك لأن كثيراً من الاعتلالات الفكرية والثقافية التي يعانيها شبابنا حالياً ناتجة بشكل أو بآخر عن الصدام الخفي والمعلن بينهما سواء داخل السعودية أو خارجها :

أولاً: اتسم خطاب غلاة المتدينين في ذروة توهجه في مرحلة الصحوة بأنه: خطاب وعظي عاطفي مباشر وضاحٍ، وبكونه خطاباً جمعياً يكاد يلغي كل الحقوق الشخصية على المستوى الذاتي ويحيلها إلى مكافآت "أخروية"؛ بل ويتجاوز من خلال ذلك وبذلك انتماءات أتباعه للوطن الأصل إلى أممية مشاعة يعجز حتى هو عن تحديد ملامحها، وهو أيضاً خطاب صيدامي مستفز تنصرف طاقته لتجيش الشباب ضد الآخر .. كل آخر . في حين يخبو صوته المحفز لهم للمشاركة في البناء والتنمية في الداخل .. داخل أوطانهم، وهو خطاب طائفي إقصائي في طرحه (السنّي والشيعي منه على السواء) لدرجة مشبوهة تتحكم في ولاءاته وتوجهها وجهاتها المتجاوزة لأسوار الوطن ومصالحه.... كل هذا أدى إلى نشوء جيل مغالٍ عنيف قلق الهوية ساهم الوضع الاقتصادي خلال تراجع مستوياته في العقود القليلة الماضية في تعاضد نغمته على الوطن بكل مكوناته بدءاً من الأسرة وانتهاءً بمؤسساته المختلفة ؛ .. بل على الدين أيضاً وعلى بعض رموزه القائدة لهذا الجيل المخيبة لآماله حين سقطت تلك الرموز على مستوى التطبيق!



ثانياً : في المقابل .. وخلال العقد الأخير .. وهي مرحلة توهج المغالين في الدعوة لليبرالية العلمانية ... لم يجد الشباب في هذا التيار ما يجبر كسراً أو يقل عثراً.. فالخطاب الليبرالي نفسه بدا خطاباً مراوفاً متحذلق الطرح يجادل كثيراً ولا يكاد يقول شيئاً ذا بال؛ ولم يكن في تجاوزه للمصالح الوطنية أدنى درجة من أصداده فهو لا يأبه بأن يستغل صوته خارجياً ضد تلك المصالح خلال خوضه معاركه المشروعة حيناً والمفتعلة المتضخمة أحياناً كثيرة أخرى في مجال حقوق الإنسان ؛ وهو كذلك خطاب تنازلات بامتياز على المستوى الديني إذ قابل مناداة المتشددين دينياً بفرض الالتزام الديني على جميع الناس شكلاً وفكراً وحراكاً إلى حد الغلو.. قابله بالمناداة بإقصاء الدين عن أن يكون المؤثر الأول في التشريعات وكذلك في توجيه تعاملات الناس وتهذيب سلوكياتهم وذلك تحت عنوان غائم عائم هو ضرورة (تجديد الخطاب الديني) والذي يعني عند هؤلاء تحديداً (تجميد الخطاب الديني وعزله وتنحيته !) ؛ ولعل أهم سمة طبعت خطاب غلاة الليبراليين ونفّرت كثيرين ممن انبهروا بهم في بدايات توهجهم من طرحهم الحالي كونه خطاباً (ثأرياً) مجانفاً للموضوعية والحياد إلى حد كبير ؛ فبعض رموزه ممن استهدفهم جانب من خطاب الصحة بالعداء والإقصاء باتت تمارس الفعل نفسه ضد الفريق المقابل وأيضاً ضد بعض قدامى الليبرالية الذين انتقدوها .. وذلك في تصفيات حساب شخصية تتجاوز ضراوة وإيذاء ما استهدفوا به هم ابتداء ؛ ويأتي ذلك على حساب الحق والحقيقة.. بل وعلى حساب الوطن !.

ومع كون هذين الفريقين يتبادلان المواقع في تبني أكثر من سمة فيما سبق ذكره إلا أن هناك عدداً من مشتركات الخطاب الأبرز بينهما أكثر من سواها ؛ وهي :

- تَقَاذُف (مكانة المرأة وحقوقها) .. كُرَّةَ لعبٍ بينهما كلما خبا بريق فريق أو وهنت قوة مقابله ؛ فبينما بينت سطوة الصوت الذكوري في التيار الصحوي المتشدد على تغييب المرأة ونفيها كلية من المشهد التنموي الوطني بل والإنساني عامة بذريعة حمايتها وصونها يتعالى في الآونة الأخيرة صراخ الليبرالية العلمانية مطالباً بتحضيرها و(إبرازها) في كل مجال وكل ميدان مناسب لطبيعتها أو غير مناسب بدعوى تمكينها من استعادة حقوقها ؛ وكلاهما بهذا (الاستغلال) يكرس لخطاب سمج مثير للاشمئزاز يسلب من مشروعية تلك الحقوق أكثر مما يمنحها!
- كلاهما يُزايِد على الآخر فيما يتعلق بدوره في (حماية الوحدة الوطنية) متسلحاً بـ "الدين" في النيل منه ؛ فعلى سبيل المثال يجد المتشددون في لعب العلمانيين بورقة (حقوق الشيعة) مدخلاً لوصمهم بعداوة الدين ومناصرة عدو الوطن الخارجي الأبرز حالياً والمتمثل في (إيران) في حين لا تتردد رموز التوجه العلماني في اتهام المتشددين بالتهمة نفسها وبأنهم داعشيو الهوى والهوية!!

- وفي هذا الحصر لأعدائنا في (إيران وداعش) فحسب ما فيه من استنزاف الجهود وتوجيهها بوعي أو من دون وعي على المستوى الإعلامي إلى هاتين الوجهتين فقط مغفلين ما يتعالق معهما وينفرد كذلك في استهدافنا سرّاً وعلانية كراهية وتجنياً بما في ذلك أقلام وتحركات أعدائنا من ذوي القرى (أصدقائنا اللادودين) من العرب الذين منهم من هو أشدّ تحيّناً لسقوطنا من كثير من خصومنا المغايرين لنا قومية وعقيدة!
- كلاهما لم يزل ذا الطول والحول والصوت الأعلى والأبلغ وصولاً في وسائل التواصل الاجتماعي ومن ثم الأقوى والأخطر تأثيراً في تشكيل وعي الشباب وتوجيهه الوجهة التي يوليها والتي هي بالتأكيد أقصى ما تكون عن قبلة الوطن ووحدته ومصالحه !!



إن ما توقفت عنده من سمات بعيد عن مناخ الاعتدال والوسطية أي مناخ أصواتنا التي تحسبها لم تزل خافطة إعلامياً؛ ويتعلق تحديداً بمن جنح عن أصل هذا التيار أو ذاك بحيث يصدق على كثير من أتباع الأول وصف (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)؛ ويتأكد في حق كثير من أتباع الثاني تجاوزهم لكل اشتراطات الليبرالية في أصول مفهومها إلى الجانب المتردي من التوجه العلماني.

إن الورقة تدعونا لاستشراف واقع هذا الخطاب مستقبلاً.. لعلنا نشترك معاً في محاولة رسم ملامحه من خلال المداخلات المتفائلة بعيداً عن النزعة التشاؤمية.. فالمشكلة ليست في أصل الخطاب الديني المستمد فكراً ولغة وتشريعات من القرآن والسنة وإنما فيما انحرف عنه من خطابات تتلبس لبوس الدين زيفاً وادعاءً وفيما قابل ذلك من خطاب لا يتردد في استغلال ذلك الانحراف في النيل من قداسة تلك الأصول وكمالها وصلاحيّة الاحتكام إلى نصوصها في كل زمان ومكان.



التعقيب الثاني: أ. كوثر الأريش

عقبت أ. كوثر الأريش على ورقة د. عبدالرحمن الهدلق حول مستقبل الخطاب الديني بقولها: أن الخطاب الديني لم يكن في العصور الإسلامية الأولى منفصلاً عن الحياة العامة، لم يكن محصوراً في منبر أو في مناسبة. كان خطاباً عفويًا، يتم فيه تناقل ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم أو ما نزلت من الآيات القرآنية، في تمام تام، لا يسعنا فصله عن الحياة العامة. حتى في العصور الإسلامية الأولى، وعصر الخلافة الإسلامية، لم يكن الخطاب متشكلاً بعد.



ويمكنني أن أحدد تشكل الخطاب الديني حين أخذ علم الكلام في منتصف القرن الثامن ينتشر في العالم الإسلامي ويتسرب للمذاهب الإسلامية، ويتم احتكار الدين في فئة متخصصة، اختطفت الخطاب الديني باعتبارات عدة أهمها "اختراع" التخصص في الدين.

أقول اختراع لأنه لم يعرف قبلئذ تخصصاً في الدين، أعني كان الجندي والنجار والراعي والتاجر وكل من دخل الإسلام هو بحد ذاته عارفاً بالدين. ثم بدأ الخطاب الديني يتخذ شكل البوق الإعلامي لتجيش الناس في المعسكرات المذهبية، لعب دوراً هاماً في خدمة الاصطفاف المذهبي، ومنه نشأ خطاب النرجسية المذهبية، احتكار الحق، نبذ الآخر من أعتاب الجنة، وربما تكفيره وتشريكه وتظليله بغرض إيجاد مبرر لحربه أو لتقوية أركان كل مذهب. بلغ الخطاب الديني أوج خدمته للمذاهب في العصر العثماني، حين بدأت الدولة الصفوية بسط نفوذها على إيران وأطراف من العراق، تمددت لأذربيجان ثم شيراز وأرمينيا وأجزاء من أفغانستان في القرن السادس عشر الميلادي. حين أصبح الخطاب الديني مجرد خادم للسياسة، يتحرك حيثما تتحرك إرادتها. كلا الطرفين نبشاً الموروث، بعثاً الروايات الضعيفة، والتأويلات غير المؤكدة، بهدف تقوية كل جانب ودعم مبررات المواجهة. لذلك تشكل لدينا خطابان دينيان مهمان، وهما مختلفان ظاهرياً، ومتفقان جذرياً: خطاب شيعي وخطاب سني. وهما الأبرز في الساحة.



ويصف علي الوردي المذهب السني أنه مذهب واقعي، فيما يصف الشيعي أنه مثالي. وأسهب كثيراً في وصف المثالية والواقعية. لكنها هنا تستعير هذين المصطلحين لوصف الخطاب الديني لكل منهما. لأنه يخطئ من يعتقد أن الخطابين متشابهان في المظهر وإن تشابها في المراكز. وأوضح أ. كوثر أنها تعني هنا الخطاب الديني المعاصر؛ ففي اعتقادها فإن الخطاب الديني السني ينقسم لنوعين: وعظي وجهادي. والشيعي لعرفاني ومتطرف (مغالي). هذا بحسب الخطوط العريضة له. الوعظي غني عن التعريف وهو خطاب رغم مسالمة إلا أنه انتقائي وسطحي كما تراه. والجهادي وهو الأهم هو المعني بصناعة المجاهد. بحيث يحشد أفضلية الجهاد ويتجاوز قيم الحياة الأخرى إما بالتهميش أو بالتحريم. ومنه تأتي كل مؤاخذاتنا على الخطاب من تكفير وتحريض ضد الآخر واحتكار الحق، كله بهدف شحن النفوس وتجييشها. أما الخطاب الشيعي العرفاني فهو شبيه بالوعظي السني إلا أنه عميق وفلسفي ليس لأنه أفضل بل لأنه يحتاج هذا العمق كنوع من الالتواء لاستغلال باطن القرآن هرباً من ظاهره الواضح، ذاك بغرض صب المعتقد في قالب قرآني على طريقة لوي عنق الآية وإقحام الفكرة باجتراء الآية أو استبطانها استبطاناً استغفالياً. ومنه بعض التفاسير التي تريد قسراً إثبات ذكر الولاية أو أفضلية الإمام علي على بقية الصحابة أو غيرها من توسل وخمس ومتعة. وهذا لا يحصل إلا باستخدام الفلسفة الإسلامية لتهويم المعنى لا أكثر. أما الخطاب المتطرف والمغالي فهو مخول لصناعة "شهداء". ولابد هنا من التركيز على أن الخطاب الجهادي السني لأنه مخول لصناعة مجاهدين، فإنه يلزمه لذلك خطاب يبيث القوة والهيمنة وإرهاب العدو وغيرها من العبارات الجهادية الصارمة. أما صناعة شهيد فهي تتطلب آلية مختلفة تماماً. تتطلب خطاب مظلومية موغل في العاطفية. تركيز الخطاب السني على جهاد الصحابة وتركيز الخطاب الشيعي على كربلاء كافيان لصناعة ساحة معركة متكاملة الأطراف. الخطاب الشيعي يركز على كربلاء ويجعلها محور حياة الموالي. بحيث تختزل العالم في خندقين، خندق يزيد وخندق الحسين. ثم تسكب كل صفات الجرم والوحشية على الأول وكل سمات النبل والتضحية والإخلاص لله على الثاني. فإذا كان الخطاب السني يواجه المشركين والكفار، فإن الخندق الشيعي يواجه من يسميهم "النواصب" وهم أعداء أهل البيت على الصعيد الأول. واليوم تلاشي بشكل شبه تام الخطاب الديني المعتدل الذي يؤدي دوره الذي ننتظره منه كعقلاء في صناعة إنسان متوازن، مؤمن، واقعي، وقوي. أصبح يفرخ لنا فقط مجموعة شهداء وجهاديين. سواء في مناطق النزاع الجغرافية أو في البيوت أو في شبكات ومواقع التواصل.



المداخلات حول القضية

علق د. عبدالرحمن الهدلق على تعقيب د. فاطمة القرني بأنه يتفق معها في معظم ما ذكرته، إلا أنه يختلف معها فيما ذكرته في ملاحظتها الأولى بشأن التعميم بأن غالبية التيار الإسلامي تيار إقصائي. حيث أكد أنه فعلاً اجتهد في انتقاء المفردات وعليه فقد ذكر مفردة الغالبية حتى لا يعمم، وهناك فرق بين التعميم الذي يشمل الجميع دون استثناء ومفردة الغالبية التي يقصد بها الأكثرية. وأضاف د. الهدلق ما نصه: لكن تبقى ملاحظة د. فاطمة واضحة بشأن اختلافها أو اعتراضها على ما ذكرت حول أن "غالبية التيار الإسلامي تحمل سمة الإقصائية". وهنا يمكن أن تبرز أهمية المعرفة العميقة بتلك التيارات ومخالطتها وتحليل تجربتها وهو ما أزعجني به خبير بحكم تخصصي وتجربتي وهو أن سمة الإقصائية مكون من مكونات معظم التيارات الإسلامية وإن أنكرها بعضهم ظاهرياً إلا أن الممارسات والصراعات بين هذه التيارات الدينية تكشف وبوضوح أن ذلك من دلائل الإقصاء المتمثل في محاولات كل تيار إقصاء الآخر طمعاً في الهيمنة الفكرية وبالتالي كسب المزيد من المتعاطفين. هذا فيما بينهم كتيارات فما بالك بموقفهم من التيار الليبرالي المناقض أو المختلف مع أطروحاتهم! وعندما أذكر سمة الإقصاء لا أحصرها في تلك التيارات الدينية بل تتعداها إلى معظم التيارات الليبرالية التي دوماً تمارس الإقصاء والتهميش ضدهم. وهنا يبرز سؤال مهم: لماذا تمارس معظم الأطياف الدينية والليبرالية الإقصاء والتهميش للآخر المختلف؟ هل ذلك بسبب النشأة الاجتماعية أو العادات والتقاليد التي يتربى عليها أفراد الأسرة...؟ هل للمناهج التربوية أو النشأة الدينية دور في ذلك؟ وتعتقد أ. فاطمة الشريف فيما يخص تجديد الخطاب الديني بوصفها من أكثر القضايا طرماً وإلحاحاً لاسيما في الوقت الراهن، أن التجديد في معناه الأهم هو تخليص الخطاب الديني مما علق به عبر السنين الماضية، من شوائب وعقبات حجب حقيقته ومقاصده وصرفته عن أهدافه في التوفيق بين النص والواقع. وعدم وضوح معنى الخطاب الديني الحقيقي والمقصود به أدى إلى الخلط الدائم في أي طرح لدى البعض بين الدين الذي هو مطلق سماوي كامل وبين التدين أو الممارسات الدينية في شتى مجالات الحياة، والتي تعتبر انعكاساً لفعل وفهم البشر وقدراتهم في الاقترب أو الابتعاد عن مراد الله وأساس الخليقة وهدفها الأسمى. أيضاً هناك فرق كبير فيما يخص طرح من يسعى للتجديد بهدف تحرير المعنى والمقصد الحقيقي للدين، ومن يسعى للتحرر من تكاليف الدين، الخطاب الديني الصحي المتجدد هو الذي يركز على أن التجديد في الدين لا ينفصل عن التجديد في الدنيا.



مما يلفت النظر بعد حادثة الداعشي الذي قتل ابن عمه تزايد النكت والطرائف والأشعار التي تناولت القضية بشكل فكاهي، وفي اعتقادها فإن مثل هذه القوالب الفكاهية التي يتم وضع الأحداث الكارثية فيها تسهم في تسويق أو تقبل تلك الأحداث اجتماعياً بشكل أو بآخر وتخلع عنها ثوب الإنكار أو الاستغراب من قبل المجتمع إن صحت هذه الفرضية .

وذهب أ. عبدالله الضويحي إلى أن ما أشارت له أ. فاطمة الشريف من تناول حادثة الشملبي بالنكت والأشعار ومدى تأثيرها على تنمية الفكر الداعشي بطريق غير مباشر نقطة جديرة بالاهتمام والمناقشة خاصة من الاختصاصيين في علم النفس والاجتماع.



وعلق أ. يحيي الأمير بأن تعدد التعريفات لمصطلح الخطاب الديني يعيدنا أصلاً لتعريف مصطلح (الخطاب) ولعل الفيلسوف قرايس 1975 من أوائل من رصدوا مصطلح الخطاب حيث يرى أن للكلام دلالات غير ملفوظة غالباً يدركها المتحدث والسامع وفق آليات صامته يصنعها السياق الثقافي ..

كذلك فإن ميشيل فوكو له محاضرة شهيرة ومنشورة عنوانها : نظام الخطاب . وركز أ. يحيي الأمير على أهمية ألا نكتفي بكون الخطاب هو الملفوظ والمكتوب فقط بل يمكن أن نضيف إليه الدلالات غير الملفوظة وهو ما سيجعل حديثنا عن الخطاب الديني حديثاً يتجاوز المدون والملفوظ والمكتوب إلى الدلالات غير الملفوظة التي تخلقها السياقات الثقافية .. وعلى حد تعبيره فإنه لا يعرف أن هناك تعريفاً ليبرالياً أو إسلامياً للمصطلح الديني يقدمه وفق الصفات التي ذكرها خاصة أنها أوصاف وليست تعريفات. كما أنه يرى في التعريف الذي أورده د. عبدالرحمن الهدلق ميزة كبرى وهي وضوحه وبساطته للمتلقى . لكن هل يمكن القول بأن كتب الفقه والتفسير والفتاوى والمواظع والخطب هي بعض منتجات الخطاب الديني؟ واختتم أ. يحيي تعليقه بقوله: ألاحظ أننا نقع في النقاش في خلط بين الخطاب الديني والتيار الديني وثمة فرق ظاهر للجميع.



في هذه الحالة هل يمكن القول بأن الخطاب الديني هو التفعيل البشري للدين .. أي ما ينتج حول الوحي المقدس من تفسير واستنباط وفقه ونحوها؟؟ إذا كان كذلك فلنأخذ المذاهب الأربعة -كمنتج من منتجات الخطاب الديني وإحدى أبرز تجلياته- وما فيها من تنوع .. والذي سنعيده غالباً -أي التنوع- لاختلاف المناخ الثقافي الذي شهد تفعيلاً لنصوص الوحي .. فاختلف المنتج لا تبعاً لاختلاف المصدر وهو الوحي .. بل تبعاً لاختلاف السياق والمناخ الثقافي الذي شهد عملية التفعيل. وتعليقاً على ما ذكره أ. يحيى الأمير أوضح د. عبدالرحمن الهدلق أنه فيما يتعلق بالخطاب الصامت خارج إطار الخطاب المكتوب أو الملفوظ لا يمكن تصويره إلا - ربما - في مقاطع الأفلام الصامتة. ولا شك أن كتب الفقه والتفسير وعامة الكتب الدينية تدخل في الخطاب الديني؛ لذا نجد الكتب السائدة في كل مذهب خطابها يكاد يكون واحداً ومختلفاً مع غيره. ولا شك أنه خطاب بشري جعل بعض أتباع المذاهب "السنية تكفر أتباع المذاهب الأخرى السنية" أو في أقل الأحوال تبذعها. وأضاف د. عبدالرحمن: أجد صعوبة في التفريق بين الخطاب الديني والتيار الديني لأن الخطاب الديني في نهاية الأمر هو منتج للتيار الديني بكل أطيافه وفئاته.

وبدوره أوضح أ. يحيى الأمير أن المقصود بالتأكيد ليس أفلام شارلي شابلن .. المقصود الدلالات المضمرية .. مثلاً : متى يكون الحديث عن الجهاد مثلاً درساً فقهياً ومتى يكون تحريضاً .. هذا مجرد مثال. واتفق أ. يحيى مع د. عبدالرحمن في أن كتب الفقه والتفسير والفتاوى والمواظع هي إحدى منتجات الخطاب الديني .. لكنه اختلف معه في قضية صعوبة التفريق بين الخطاب والتيار .. التيارية حالة وأفراد .. الخطاب الديني ذلك الكم الهائل من المعرفة الناتج عن تفعيل البشر لنصوص الوحي .. وتساءل أ. يحيى: هل حدث وتنازعت عملية التفعيل بين ما يحمله النص المقدس وبين السياقات الثقافية التي شهدت عملية التفعيل .. بمعنى هل سبق وهيمنت المعطيات الثقافية على الدينية ؟

وذكرت أ. كوثر الأربش أنه وفي حقبة ما قبل الصراع السياسي على سيادة العالم الإسلامي كان الخطاب فقهياً. لكن بعد تسييس المذاهب لم يعد الفقه أكثر من أحكام فقهية أغرقوا بها العامة لإشغالهم عن اللعبة السياسية. لهذا سيصدمنا تفاصيل التفاصيل في الفقهيات كأحكام الطهارة والحيز التي تكفي مجلدات! هذه التفاصيل التي تشبه بقرة موسى. لم تكن بكل هذا التشعب لولا أهداف سياسية أرادت إلهاء الناس بقوائم غير منتهية من الفقهيات.



أما د. طلحة فدعق فقد لخصت مداخلتها في النقاط المحددة التالية:
أولاً : اتفق مع ما ذكره د. عبدالرحمن الهدلق حول التعريف الإجرائي وهو تعريف حر يضعه الباحث للقضية وقد قدمه بسلاسة وهنا أتوقف عند عبارة ... "مفاهيم ونصوص يتم إرسالها انطلاقاً من مرجعية إسلامية غالباً الكتاب والسنة..." هنا المدك فمن يتحكم في تفسير وتأويل تلك المفاهيم هو من يمتلك لغة الخطاب وما تتضمنه تلك اللغة من قوة توجيه وأدلجة في أحيان كثيرة ... إذا نحتاج تحليل للغة الخطاب وسياقاته !



ثانياً: قضية أخرى تتعلق بالنقطة السابقة وهي أن هناك فرقاً بين الخطاب الديني والخطاب الإسلامي ... ليس كل خطاب ديني الآن هو بالضرورة إسلامي ووفقاً له ليس كل خطاب إسلامي أراه خطاباً دينياً.

ثالثاً: لو توقفنا عن الخطاب الديني الإسلامي فهو الآن -وبقوة- خطاب مسيس شئنا أم أبينا ... رجال الدين (مع تحفظي على المصطلح لأن الإسلام لا يوجد فيه مسمى رجل دين)....حقيقة يجعلونني شخصياً استحضر ما ذكره علي الوردي حيث وصف بعضهم بـ "وعاظ السلاطين" ... مع اختلاف في كثير مما تطرق إليه الوردي في هذا الصدد.

رابعاً: السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية أيضاً كلها أثرت - وما تزال - على ما يسمى بالخطاب الديني (بتعريفه الاجرائي السابق لكي لا تتداخل المفاهيم).... وأخطرها ما جرّته أحداث 11 سبتمبر والربيع العربي الآن إضافة إلى كوكتيل الحروب في شبه الجزيرة العربية . . قطعاً تغيرت لغة الخطاب بسبب تغير خريطة المصالح وتشكيل مراكز القوى ... وستتغير أيضاً.



خامساً: قبل أن ننظر إلى تأثيرات التشكيل الجديد للخطاب الديني علي الرأي الخارجي الغرب تحديداً ... فلننتبه إلى الداخل وإلى جيل الشباب على وجه الخصوص... هم المشكلة القادمة ليس في إفراز مخرجات الخطاب الحالي على شكل انحرافات فكرية أو عقدية أو سلوكية وإنما في إنتاج نوع من الخطاب الجديد ديني أو غير ديني - الله أعلم - لكن سيفرضونه بقوة إن لم نتدارك احتياجاتهم ونوجد آلية فعالة.

أنا لست متفائلة حقيقة بمستقبل الخطاب الديني - (الخطاب وفقاً للتعريف الإجرائي المتفق عليه) - إلا إذا تحرر فعلاً من إشكاليته مع ذاته ومع من يرون أنهم يمتلكون الحق في صياغة هذا الخطاب واختزاله لصالحهم.

وأوضح د. عبدالرحمن الهدلق أنه قد يحدث أحياناً التباس بين الديني والعرفي أي العرف والعادة وهو ما تعرف عليه الناس وارتضوه. ولحل هذه الإشكالية ذكر الأصوليون قاعدة "العادة محكمة" ما لم تخالف الشرع. بل بعضهم جعل العرف أحد المصادر التشريعية المتأخرة في مصادر التشريع. وفي رأي د. الهدلق فإن الخطاب الديني له ارتباط مباشر بالدين وأتباعه ولا يرى مشاحة أن يكون هناك خطاب إسلامي أو خطاب مسيحي أو يهودي إذا كانت الخلفية والمنطلق من تلك الديانة. وفيما يتعلق بما ذكرته د. طلحة فدعق، أوضح د. الهدلق أنه أشار إلى خطورة تأثير الخطاب الديني المتشدد على شعوب المنطقة وكذلك الشعوب الغربية. كما اتفق معها فيما يتعلق بأهمية التصدي للخطابات الدينية المتطرفة التي تقف خلف إشكاليات عدم الاستقرار المعاصرة والتي تشهدها المنطقة. وكذلك فإنه يرى أهمية التصدي بحكمة للخطابات الغربية التي تدعو للعنصرية والكراهية-بأساليب غير مباشرة- للإسلام ورموزه والتي عادة تكون ضمن خطاب ديني متطرف ذي بعد يهودي أو مسيحي أو هندوسي.. إلخ.

كذلك فيما يخص ما ذكرته أ. كوثر الأربش، أوضح د. عبدالرحمن الهدلق أنه لاشك أن تداخل السياسي مع الديني زاد من حدة الصراعات المجتمعية وقد يكون التقليل من جرعات السياسة في الخطاب الديني أحد العوامل الإيجابية لاستقرار المجتمعات.

المبالغة في وصف الحالة:

أشار د. مساعد المحيا في مداخلته تعليقاً على ورقة د. عبدالرحمن الهدلق حول مستقبل الخطاب الديني إلى أننا نبالغ في وصف حالنا حين نتحدث عن خطابنا الديني بأننا نمتلك خطاباً محدداً وواضح المعالم على الأقل من حيث الممارسة ..نحن نعيش اليوم بين أروقة مجموعة من الخطابات بعضها يصطف بجانب البعض الآخر ويختلف معه قليلاً أو كثيراً وبعضها يتنافر معه بالكلية وكلها تصنف بأنها تمثل الخطاب الإسلامي .. مثلاً نحن لدينا خطابان: خطاب نحرره لنتحدث عنه كرؤية ثقافية وفكرية نظرية .. وخطاب ممارسة يسكننا في الوعي والاوعي، والنوع الثاني هو الأكثر تأثيراً في ممارساتنا اليوم .. نحن لم نصطلح بعد مع أنفسنا في خطاب موحد



مثال آخر هناك خطاب رسمي تتبناه الدولة له معالمه الواضحة .. ولدى جماهير الدعاة خطاب يأخذ من هذا الجانب الرسمي بعضه ويتجاوزه في أكثر الأحوال .. يحبه حين ينسجم مع مرئياته ويتنافر معه حين يجد أنه لا يتسق مع رؤاه التي تتسم بالحدية في الرؤية .. نحن لدينا خطاب في المؤسسة الرسمية للعلماء بحكم أنهم في الغالب يمثلون مدرسة فكرية متقاربة مع بعض الاستثناءات لمن انضموا للمؤسسة الرسمية مؤخراً ولدينا خطاب للدعاة يتماهى معه أحياناً وينفر منه أحياناً أخرى .. لدينا خطاب صنعته الظروف الاستثنائية مثل الحوادث التي تهز المجتمع " تفجير مسجد القديح، مسجد الدمام، مسجد الكويت، مسجد قوات الطوارئ " .. هذا الخطاب ينشأ بعد كل تلك الأحداث ليقول للناس شيئاً مختلفاً عن الخطابات السابقة ولأنه خطاب عاطفي فهو وقتي إذ لا تلبث الأمور فتعود كما كانت، إذ يعود الكثيرون حين ذاك للكتل الخرسانية الفكرية التي تقود قناعاتهم فتجدهم يعبرون بخلاف ما كانوا يقولونه بعد كل تلك التفجيرات .. الحديث السابق عن البيئة المحلية التي تمثلنا وننتمي لها جغرافياً وفكرياً مع بعض الاختلاف في الطرح والرؤى والقناعات .. أما خطاب العالم الإسلامي فنحن بعيدين عنه وإن ادعينا القرب منه.

وأضاف د. مساعد المحيا: في العالم الإسلامي هناك خطاب تتبناه الجماعات الإسلامية التي لها شعبية في بلدانها أو في عدد من دول العالم، وهذا الخطاب يركز على منهجية وطبيعة كل جماعة ونحن هنا قد نتعاطف مع عدد من أولئك المسلمين وبخاصة السنة لكننا نفصل عنهم من حيث نمط الخطاب وطبيعة حاله، وهذا يخلق بعض التناقض المجتمعي الذي نعيشه إذ قد تجد بعضنا يحب أو يميل إلى بعض الرموز الإسلامية وربما يبالغ في ذلك، لكنه يمقت شخصاً آخر هنا لمجرد أنه اختار رؤية فقهية لا تتسق مع رؤيته علماً أن ذلك الرمز من خارج المملكة قد اختار الرؤية الفقهية التي يمقتها البعض من أولئك !! ومثله أيضاً قد نثني على امرأة داعية غير منتقبة في أرجاء العالم الإسلامي لكننا نخلف مع امرأة هنا لمجرد أنها اختارت كشف الوجه أو تبنت هذه الرؤية. وقد يغضب البعض من داعية لأنهم رأوه يبيع الغناء ويصفونه بأبشع الأوصاف ولكنهم يؤيدون الكثير من الدعاة خارج المملكة مع أنهم يرون جواز الغناء .. هذا التناقض في طبيعة الخطاب الممارس لا النظري لدينا هو إحدى الإشكاليات والتي تقود إلى إفرارات هائلة من الواقع السيء الذي نعيشه .. نحن نحتاج أن نتصالح مع ما نؤمن به تجاه الآخرين لنؤمن به تجاه من حولنا ثم بعد ذلك سنبدأ خطاباً راشداً لا يتناقض مع واقعنا ويجعلنا منسجمين مع رؤيتنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين.

ويعتقد اللواء د. سعد الشهراني أن إشكالية الخطاب الديني أنه مسييس كما ذكرت د. طلحة، بل ويضاف إلى ذلك أنه تحريضي ومستفز وقابل للاستفزاز (وهذا ما تستغله القوى الغربية لتجد دائماً المبرر للهيمنة والتدخل) وفي الغالب يكون التسييس متخلفاً ويقاد برموز قفزت على السياسة قفزاً واستخدمت فتاوى مسييسة علماً أن هذه الرموز كانت في البداية لا تفقه في السياسة ولا في موازين القوى شيئاً.



أما التيار الديني فما سمي تياراً إلا لأنه مسيس ويغلب على عامة أتباعه العاطفية وفي أحيان كثيرة السطحية والسذاجة السياسية وتغيب العقل والتفكير المتأمل من قبل هذه الرموز فضلاً عن تغيب الفهم الشامل والعميق والصحيح للدين وفي المقابل هناك التيار الليبرالي الذي وإن كان أكثر وعياً سياسياً إلا أنه استفزازي وفوقي ولا يأبه ولا يحترم في غالب الأحيان المشاعر الدينية ولا الأغلبية المجتمعية وهذا ينطبق إلى حد كبير على الحركات والأحزاب العربية التي تسمي نفسها تقدمية.

وركز د. علي الحكمي في مداخلته على أن خطابنا الديني أحياناً يكون غير مطمئن للآخرين بل قد ينشر التخوف وعدم الثقة في أوقات كثيرة. الإسلام جاء رحمة للعالمين هذا من أهم مبادئ ديننا الحنيف. وخطابنا الديني يجب أن ينطلق من هذا المبدأ. سواءً ذلك الموجه لداخل المجتمع أو خارجه. فالرسائل المقدمة للمتلقين داخل المجتمع (بمختلف فئاتهم من الصغار والشباب والراشدين من الجنسين) يجب أن تكون رحمة للمتلقين، بمعنى أن تقدم الدين بتسامحه وبساطته وعدم تعارضه مع فطرة الإنسان ومحبه للعيش في سعادة وطمأنينة. يجب أن نربط في أذهان المجتمع أن الدين يؤدي إلى السعادة والرفاه والطمأنينة لهم شخصياً ولأسرهم ومجتمعهم وبلدهم. وهذا يعني أن يكون الخطاب الديني مرغباً لا منفرجاً، وأن يعاد النظر في بعض القضايا "الاجتهادية" التي تميل إلى التشدد، والتوجه بدلاً من ذلك إلى مزيد من التسامح الذي يساعد على ترغيب الأفراد في دينهم لا تنفيرهم منه. مهم لخطابنا الديني أن يفهم الجوانب النفسية للإقناع وخاصة لدى الصغار والشباب، وأن يتعامل معهم من مفهوم الحديث "يعجب الله من الشاب ليس له نزوة" والذي يدل على أن النزوات من طبيعة مرحلة الشباب، فننتعامل مع أخطائهم بعقلانية وحب وعدم تضخيم أو تهويل. وقياس ذلك على جميع فئات المجتمع. وبمنظرة لبعض الشباب في مجتمعنا نجد أن لديهم نفوراً من الدين، وعندما تسألهم، يجيبون (نريد أن نعيش حياتنا) ومعنى ذلك أن الدين ارتبط لديهم بحياة لا سعادة فيها، ولذلك يفترض أن نحلل خطابنا الديني الموجه إليهم. ونعرف لماذا أدى إلى تلك الصورة الذهنية السلبية ونقوم بصياغة خطاب ديني ينشر الإيجابية في النظرة إلى الدين. أما خطابنا الديني الموجه للخارج (سواءً مسلمين أو غيرهم) فهو أيضاً يحتاج إلى تحليل معمق للمحتوى. حيث الرسالة الأساسية "رحمة للعالمين" يجب أن تكون هي منطلق التحليل كذلك.

وفي رأي د. علي الحكمي فإن بعض خطابنا الديني لا يراعي مبدأ الرحمة ولا يوظفه، فعندما يصور البعض أن فهمنا للدين هو الصحيح وأن غيرنا من المسلمين لديهم خلل، فهذا الخطاب -بغض النظر عن صحته من عدمها- هو خطاب منفر يبعدهم عنا، ويزيد تمسكهم بفهمهم، لأن كل إنسان ينزع للتشبث بمبادئه ومعتقداته، ويحاول حمايتها عندما تتعرض للهجوم. ولذلك مهم في خطابنا ألا نشعر الآخرين بأنهم أقل أو أن فهمهم للدين، والذي عاشوا عليه قرونًا عدة، فيه خاطيء. أما غير المسلمين، فمبدأ الرحمة للعالمين يجب أن يكون حاضرًا كذلك.

وأضافت د. الجازي الشبيكي أننا في المجتمع السعودي نميل في الغالب في أحكامنا الدينية إلى التشدد أخذًا بفتاوى بعض طلاب العلم الذين نحس الظن بهم بأنهم يريدون الخير للناس سدًا للذرائع، ولكن الدين بحمد الله قوي ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فلمَ الخوف والتردد من تبيان الحقائق الدينية للناس وترك الخيار لهم في درجات الاتباع؟ على سبيل المثال (فيما يخص التشدد الديني وأنا نختار من أحاديث السلف والصحابة ما يؤكد على توجهاتنا وآرائنا)، أن ابن عباس رضي الله عنه هو الذي قال في تفسير {ومن الناس من يشترى لهو الحديث} أن المقصود بذلك الغناء، لكن ابن عباس الذي أجاز كشف وجه المرأة، رأيته مرفوض وتفسيره في هذا الجانب مرفوض! فكيف نقبل برأي له ونرفض الآخر وتحت أي معيار؟ إلا معيار سلك طريق التشدد. والنبى -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع (لاحظوا حجة الوداع التي قال فيها اليوم أكملت لكم دينكم....) حتى لا يأتي من يقول أن ذلك الفعل نسخه حديث آخر، تأتيه تلك المرأة الجميلة وضأة الوجه لتستفتيه فيلاحظ أن الفضيل رضي الله عنه ينظر إليها، فلم ينهرها أو يقول لها : غطي وجهك يا امرأة.... لكن أخذ بوجه الفضيل وأداره عن الرؤية إليها. وقد استمعت لحديث للشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره لذلك الموقف، تبين لي فيه أن تغطية وجه المرأة ليس فرضاً وأنه يدخل في حكم المتشابهات والمختلف عليها خاصة إذا كانت غير متبرجة، فكيف يُسمح لبعض المجتهدين من الهيئات بالتعامل مع الكاشفة وكأنها مُرتكبة لكبيرة من الكبائر بكشفها لوجهها! هذا فقط أحد الأمثلة على تشدد الخطاب الديني عندنا.

وترى أ. علياء البازعي أنها شخصياً تعتقد أنه لم يعد يصل للناس مثل السابق.. فهناك شريحة كبيرة لم تعد تستمع له.. إما لاهتزاز الثقة بالمصادر...أو عدم وصول هذا الخطاب إعلامياً كما كان يصلنا بسبب التنوع الإعلامي وكثافته. وأضاف د. عبدالرحمن الهدلق: الخطاب الخطير هو الموجود في تويتر وبعض منصات وسائل التواصل الاجتماعي.

محددات ضرورية لفهم واقع ومستقبل الخطاب الديني:

أكد د. منصور المطيري في مداخلته حول قضية مستقبل الخطاب الديني بأنه وتجاوزاً لإشكالية تحديد مفهوم الخطاب فضلاً عن الخطاب الديني .. من المهم التأكيد على مجموعة من النقاط المهمة ذات الصلة بتناول الخطاب (الديني) :

- **الأولى:** الوصف المحدد للخطاب وهو (الديني) يستلزم وجود خطاب آخر يحمل وصفاً مغايراً لهذا الوصف .. فهل الوصف المغاير لا ديني (علماني) أو ليبرالي؟ وهل يقصد بالديني الإسلامي فقط؟ لا شك أن المقصود الإسلامي .. وهنا قد يتبادر إلى الذهن أن الوصف (الديني) لغرض فرز الخطاب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو حتى الوطني عن الخطاب الوعظي الإرشادي .. وكل هذا يدل على أن اختيار هذا الوصف مشكل ومضلل .. لأن الخطاب الإسلامي يتناول كل هذه الجوانب (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعبدية)؛ بل إن أبرز الحركات الإسلامية حركات سياسية.
- **الثانية :** أن الخطاب الديني (الإسلامي) لا يمكن تناوله بالتقييم ككتلة واحدة لأنه شديد التنوع كما أشار إلى ذلك د. الهدلق.. وتقع الإشكالية في أن الانحراف الذي لا يقره مجمل الخطاب الإسلامي يلصق به رغباً عنه بسبب عموم هذا المصطلح.. وذلك مثل التكفير والقتل الذي تتبناه القاعدة وداعش ويتبرأ منه الخطاب الإسلامي صباح مساء... ومثل الخطاب الصفوي الشيعي وهو من أشد الخطابات تطرفاً وانحرافاً .. كل الانحرافات ستنسب بسبب هذا العموم (الديني) إلى ما سمي بالخطاب الديني أي الإسلامي، ويلتحق بذلك الحكم بصدقية السمات والصفات التي ذكرها د. الهدلق من الصفري أو الإقصائية والعاطفية والبساطة من عدمها.. أن الخطاب الديني (الإسلامي) بهذا العموم لا يمكن جعل هذه الأوصاف لازمة لكل أطيافه، فالتسامح وعدم الإقصائية صفة واضحة في بعض التيارات حيث عقدت اللقاءات والحوارات مع العلمانيين والقوميين بل والماركسيين، والدفاع عن الرأي لا يعتبر إقصائية .. والحقيقة أن الإقصاء بل والقتل والسجن مارسته التيارات اللادينية (العلمانية والليبرالية الشهبونية).. والواجب هو تناول كل خطاب يسمي نفسه باسم خاص تحت الاسم الذي اختاره.

- **الثالثة:** هي أن مصطلح الخطاب الديني يتناوله بالبحث والنقد والتحليل بما فيها المطالبة بالتجديد فريقان :
 - **الفريق الأول:** أعداء هذا الخطاب ويُقصد بهم أولئك الذين يحملون فلسفات ورؤى عامة حول الوجود والحياة تتناقض مع قيم الإسلام نفسه ورؤاه .. ويقصدون بتجديد الخطاب الديني التأكيد على أن القيم الإسلامية قيم تاريخية لا تتناسب مع العصر الحديث ولذلك فإن التجديد يعني القيام بثورة ضد هذا الخطاب: إما ثورة إصلاحية تشبه ثورة لوثر في المسيحية ضد الكاثوليكية، أو ثورة استثنائية كثورة عصر الأنوار الأوروبية وما تلاها التي حملت صفة اللادينية أو العلمانية.
 - **الفريق الثاني:** هو طيف متنوع يتبنى القيم الإسلامية ويختلف في مدى شمول الإسلام وضيقة في علاقته بنواحي الحياة المختلفة .. والدعوة إلى دراسة وتجديد الخطاب الإسلامي في العصر الحاضر من قبل هذا الفريق قديمة نوعاً ما بدأت في الخمسينيات الميلادية تقريباً حينما نادى البعض بأننا دعاة لا قضاة، وفي الثمانينيات برزت الدعوة إلى ترشيد الصحوة وفي التسعينيات ظهرت الدعوة إلى النقد الذاتي وضرورة المراجعات.
- والفريق الأخير على تنوعه بغض النظر عن الحكم على صحة أطروحاته، فريق حريص على القيم الإسلامية، باحث عن الأسلوب الأمثل لتمثيلها في الحياة، بخلاف الفريق الأول فهو فريق معادٍ للإسلام ذكر د. الهدلق بعض الأوصاف السوداء التي يطلقها على المتبنين للخطاب الإسلامي .. هذا الفريق ليس حكراً على الساحة الفكرية بل أن الأنظمة السياسية التي حكمت معظم الدول العربية مدعومة من القوى الغربية العظمى تتبنى هذه الرؤية العدائية الاستثنائية ولذلك كان أغلب النشاط الإسلامي نزلاء السجون وضحايا التعذيب لهذه الأنظمة.. وقد شهدنا بعض الأنظمة تنادي في رمضان الماضي بتجديد الخطاب الديني وفي الوقت نفسه تشغل آلة القتل والسجن بأعلى درجاتها، كما شهدنا كيف تحدد الدول العظمى شكل النظام السوري المستقبلي وأنه نظام يجب أن يكون علمانياً، ورأينا كيف قامت دولة عربية خليجية بشكل مباغت وفجائي ومن دون مقدمات ولم يسبق فيها تاريخ من الصراع مع الإسلاميين، وبعد زيارة قام بها الرئيس الأمريكي بوش لها بشن حملة اعتقالات وسجن لعشرات النشاط الإسلامي فيها الذين تميزوا عن غيرهم برقتهم ونشاطهم في المجال الخيري والتربوي فقط.. الفريق الاستثنائي يرى الخل في القيم الإسلامية ذاتها وفي الإسلام ذاته .. بينما يرى الفريق الآخر أن المشكلة تقع في كيفية تشكيل العقل المسلم المعاصر وفي بعض اجتهاداته.

أسباب تشدد الخطاب الديني:



ركز د. خالد الرديعان في تعقيبه على ورقة مستقبل الخطاب الديني على جزئية محددة تتعلق بأسباب تشدد الخطاب الديني في العقود الأخيرة. حيث قال: إن معظم الدول العربية استقلت أو توحدت منذ ما يزيد عن خمسين عاماً لبعض الدول (أتحدث عن دول مثل مصر والعراق وسوريا والسعودية والجزائر والمغرب واليمن والسودان الأكثر كثافة سكانية) ومع ذلك فإن هذه الدول لم تلج إلى النادي الديمقراطي حتى بأدنى مستوياته بل إن ما تم في بعض تلك الدول كان ديموقراطية مزيفة وشكلية..

وقد نافحت معظم الدول العربية عن موقفها الممانع للديموقراطية والتحديث السياسي بدعوى التصدي "للعنصر الصهيوني" ودعوى انشغالهم بالقضية الفلسطينية وأن التحديث السياسي ليس أولوية في ظل تلك المرحلة التي تتطلب توحيد الجهود لمعالجة قضايا التنمية والقضية الفلسطينية... الفلسطينيون بدورهم -وأقصد تنظيمااتهم المختلفة- أدركوا ذلك ومارسوا اللعبة باحتراف بحيث أصبحت القضية الفلسطينية كرة تتقاذفها الحكومات العربية حتى مرحلة السلام السادتي المنقوص وانتهاء باتفاقية أوسلو التي كرست الوجود الإسرائيلي بصورة رسمية لا يمكن الرجوع عنها بحكم طبيعة الاتفاقات التي عقدها الكيان الصهيوني مع بعض الدول العربية. هذا الوضع البائس وأقصد به اللعب بالقضية الفلسطينية والمتاجرة بها وتأخير التحديث السياسي أسهم وبصورة كبيرة بنمو وعي عربي بيؤس الواقع المعاش وضرورة الخروج من الوضع القائم لكن هذا الوعي لسوء الحظ لم يكن عند الحكومات التي مارست الاستبداد واستمرت البقاء بالسلطة ولكن عند شعوبها التي أدركت أنها تتعرض لتزييف وعي مبرمج منذ العام 1948 وحتى اللحظة الراهنة.



وأضاف د. خالد الرديعان أنه في ظل هذا الوضع المتردي برز المشروع الإسلامي "الشعبي".. أسهم ببروزه كذلك سقوط المشروع القومي الناصري وسقوط التجربة الاشتراكية وتخلف التنمية واتساع دائرة الاستبداد العسكري في العالم العربي.. ولأن الأنظمة العربية لم تكن غافلة عن المشروع الإسلامي وما يمكن أن يقوم به من تحريك للجماهير فإنها التفتت إليه وتبنت نسخته المعدلة التي تناسب استبدادها وانفرادها بالسلطة بحيث أصبحت المفاهيم السياسية الإسلامية ضمن خطابها اليومي الذي تتوجه به نحو شعوبها... هذا الخطاب الإسلامي السلطوي ولد ردة فعل مضادة عند الجماهير المسلوقة لأنها شعرت أن الأنظمة سلبتها آخر أداة في مقارعة سلطة الاستبداد.

لقد أصبحت السلطة تتحدث بالمفاهيم نفسها التي تطرحها الجماهير البسيطة ولكن بصورة مفاهيم مشوهة وفارغة المحتوى.. أصبحت مفاهيم مثل الجهاد ونصرة الشعب الفلسطيني وتحرير بيت المقدس مفاهيم دارجة في القاموس السياسي العربي من دون أن تعني شيئاً ملموساً على أرض الواقع... مجرد عبارات يتم ترديدها من حين إلى آخر؛ بهدف كسب ولاء الجماهير. ولأن الخطاب السياسي الإسلامي السلطوي رخوا وغير ذي فائدة على المستوى العملي فقد قابله خطاب جماهيري إسلامي شعبي أكثر تطرفاً بحكم أن هذا الخطاب المتطرف هو آخر سلاح في يد الجماهير.. بروز هذا الخطاب المتطرف لم يكن خياراً ضمن خيارات أخرى ولكنه ظهر كردة فعل لوضع قائم يصعب تغييره.. وكلما اشتدت وطأة الاستبداد من قبل السلطة أصبح الخطاب الشعبي الإسلامي أكثر تشدداً ما يعني أن التشدد هو وليد ظروف سياسية جعلته الخيار متاح. إن الخطاب الإسلامي المتشدد في العقود الأخيرة هو صنعة سياسية عربية بامتياز لأنه ظهر كردة فعل شعبية على انفراد الأنظمة العربية بالسلطة بدليل أننا لم نشهد هذا التشدد في الخطاب الإسلامي في الدول الإسلامية غير العربية كتركيا وبعض دول شرق آسيا وإفريقيا التي حدثت أنظمتها السياسية. نلاحظ في هذه الدول أن الخطاب الإسلامي الشعبي أكثر اعتدالاً بل ويتماها أحياناً مع الخطاب الليبرالي بصورة تجعله مقبولاً حتى عند غير المسلمين في الدول التي تضم تنوعاً دينياً واثنياً كما في حالة إندونيسيا في آسيا والسنغال في إفريقيا على سبيل المثال. لم يرفع الخطاب الإسلامي في تلك الدول شعارات تنادي بكفر الديمقراطية أو ضرورة الجهاد، وعوضاً عن ذلك رفعت شعارات تنادي بضرورة التنمية والتعايش والتسامح كما هي مبادئ الإسلام البسيطة التي نعرفها ونردها. إن الدول العربية خرجت من ربة الاستعمار لكنها وقعت في قبضة الاستبداد وجمود التحديث السياسي بمعنى المعضلات التي أفرزت في نهاية المطاف خطاباً إسلامياً متشديداً ترعّمته تنظيمات وأحزاب صغيرة هامشية استطاعت إقناع الجماهير بأخطاء السلطة.



وفي نهاية الأمر تم تخوين هذه الأحزاب ومطاردة أعضائها والزج بهم في سجون السلطة؛ لأنهم رفعوا شعارات إسلامية زادت على شعارات الأنظمة بل وتجاوزتها في التطرف.. وأخيراً فإننا إذا ما أردنا تخفيف حدة الخطاب الديني والنأي بأنفسنا عن التشدد والفقہ الجامد فإنه يلزم أن نفتح نوافذ العقول وأن نقوم بعملية إصلاح سياسي شامل تضمن في نهاية المطاف تخفيف الاحتقانات التي تعاني منها الشعوب العربية بحيث تكون الديمقراطية كمارسة شعبية في صلب اهتماماتنا.. صحيح أن التجربة لن تكون مريحة في بداية الأمر لكنها وبمرور الوقت ستصح مسارها إذا ما انطلقت بعيداً عن القمع واستبداد السياسيين.. غيرنا ليسوا أفضل منا فقد بدأوا ونجحوا.

وعلق د. عبدالله بن ناصر الحمود على ذلك بقوله أن ما طرحه د. خالد الرديعان واقعي ومنطقي لكنه محبط جداً في ذات الوقت. إن كان خلاصنا من داعش الفكر وداعش السلوك لن يأتي إلا من بوابة الإصلاح السياسي فيا ويلنا من شر قد اقترب! آفاق الإصلاح السياسي في بيئتنا بائسة. في أفضل نموذجين حاولا الإصلاح بذراع الجماهير سقطت نظرية الإصلاح مع سقوط آخر ضحية من الجماهير وعاد الأمر كما كان أو نحو ما كان في مصر وتونس. وفي أسوأ نموذجين راحت الجماهير ضحايا للمجهول، في ليبيا وسوريا، ولم ينعم الناس بإصلاح. وبين هذا وذاك بقيت منظومة من الدول الأخرى في الخليج والأردن مثلاً مكانك سر. ربما نجح المغرب في إجراء تعديلات هيكلية مهمة في مفاصل سلطته السياسية يقول المراقبون أنها أنقذته من مصير محتوم لو لم يفعل. خلاصة الأمر لعننا وأنظمتنا السياسية نبحث عن مخرج للأزمة المتجددة المتجددة.

ومن ناحيته أوضح د. خالد الرديعان أنه لا يتحدث عن إصلاح سياسي كالنموذج الليبي والعراقي أو السوري فهذه النماذج سيئة وجاءت بعد سقوط الأنظمة وخاصة العراق وليبيا... إنما يريد إصلاح من نظام قوي ومتماسك بحيث يبادر بنفسه بعملية الإصلاح ... ونموذج المغرب مناسب جداً ويمكن الاستفادة من تجربته.

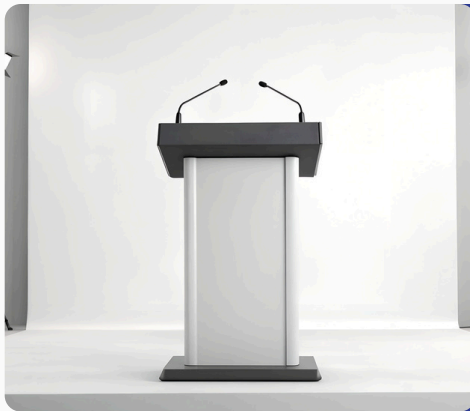
كذلك أشار د. مساعد المحيا إلى أنه وإذا كان الأفق مسدوداً فليس له من سبيل إلا الانفجار.. الإصلاح السياسي الذي يتسق مع نماذجنا الخليجية هو المقصود وهو الذي يقوم على التدرج في عملية الإصلاح وليس على الثورية الجماهيرية.. نخب السلطة والنخب المثقفة والجماهير المتطلعة للتغيير يمكن أن تتواءم في عمل سياسي رشيد أساسه مصلحة الوطن وبخطوات عملية وإجرائية متقبلة لا تقوم على الصراع أو المناكفات الهادمة للبناء.. نحن ننعم بمشروع سياسي جعلنا بفضل الله ننعم بالأمن والرخاء وأي إفساد له يعني إفساد في الأرض إنما هو الإصلاح بكل معطياته العملية والممكنة والمقبولة.



أسباب تضخم الخطاب الديني وغياب الخطاب التنويري والليبرالي المعتدل:

من ناحية أخرى، أشار د. خالد الرديعان إلى مسألة مهمة تتعلق بأسباب تضخم الخطاب الديني وغياب الخطاب التنويري والليبرالي المعتدل. أنه ومن دون عناء يذكر نلاحظ أن الخطاب الديني عندنا ممأسس ومتجذر من خلال عدة جهات رسمية وغير رسمية مما يضفي عليه شرعية لا تتوافر للخطاب المقابل حتى وإن كان خطاباً واقعياً لا يتعارض مع الخطاب الديني السائد.. ويتم عادة وصم الخطاب التنويري بأنه تغريبي ويتم تشويهه بصورة ممنهجة ولا سيما أن الخطاب التنويري يفقد للمنبر والمؤسسة التي تدافع عنه.. وهنا تصبح الساحة متاحة فقط للخطاب الديني الذي يجنح نحو خلق الخصوم وتهميش أي خطاب آخر حتى لو خرج من عباءة الخطاب الديني.. وليس المقصود أن الخطاب الديني نسخة واحدة فهناك تنوع فيه لكن الصوت الأقوى هو للخطاب المتشدد والذي يستقوي غالباً بالمؤسسة السياسية التي تعرف ضرره لكنها تهادنه في أغلب الأحوال... ويضيف د. خالد: لا داعي للتذكير كذلك أن المؤسسة السياسية تستمد شرعيتها من الخطاب الديني ومن ثم فإنه ليس من المتوقع منها تشجيع أي خطاب آخر لأنها إن فعلت فقد تكون كمن يضر بشرعيتها التاريخية.. ما نحن بحاجة إليه هو خطاب ديني مستدير يعزز من شرعية المؤسسة السياسية ولا يتعارض مع متطلبات العصر.

وذكر د. عبدالرحمن الهدلق أن مداخلة م. سالم المري تتضمن استعراضاً تاريخياً مفيداً، ولعله كان من الممكن التعرض لمرحلة الصراع بين الخطاب الديني والخطاب الحداثي في تلك الفترة. حيث كان للخطاب الحداثي صولات وجولات على الصعيد الثقافي العربي والمحلي. ويبدو أن معظم ما ذكر عن الخطاب الديني والتغيرات الطارئة عليه كان مركزاً على ما يسمى بالخطاب الديني الجهادي وهو لا يمثل الشريحة العظمى من الخطاب الديني العام المختلف عنه.



فمؤخراً بدأت تظهر بعض المؤشرات لقبول المفاهيم الوطنية في الخطاب الديني العام لكن على الطرف الآخر زادت حدة النزعة الطائفية في الخطاب الديني كرد فعل للممارسات الإيرانية المتلبسة بالدين والتدين. وستزداد مالم تكف إيران الصفوية عن خيبتها ونواياها وممارساتها التوسعية على حساب المصالح السعودية والأميتين العربية والإسلامية.



واتفق م. سالم المري مع ملاحظة د. عبدالرحمن الهدلق بأن الخطاب الحدائي كان موجوداً وأدلى بدلوه لكن لم تكن الكفة لصالحه! ولم يستطع إحداث فرق يذكر؟! وأضاف م. سالم: أعتقد أيضاً أن ما يحدث في اليمن وسوريا وما سياتر على تلك الأحداث الجسام سيكون له تأثير كبير على مستقبل الخطاب الديني!!

وتساءلت أ. هيا السهلي فيما يخص المطالبة بخطاب ديني مستنير: هل من تفسير لتحول الخطاب الذي كان متشدداً إلى معتدل ومستنير أو ما تحول من وعظي إلى فكر. أو ما تحول من تحريضي وجهادي إلى تعايش وقبول للآخر؟ وقالت أ. هيا السهلي إن كثيراً من دعاة الصحة تحول خطابهم ومنهم من اعتدل ولكن كانت المواجهة لهم هجومية وتقليب الماضي وتغييرهم بخطابهم قبل أن يفتح الله على بصيرتهم.. لم نحاول أن نستفيد من خطابهم الحديث وجماهيريتهم العربية بعد أن كانت في خطابهم القديم الإقصائي جماهير محلية. التأمّل في خطابات الداعشين وشعاراتهم هو الكرامة والانتصار والغيرة على الدين.. وأظنها مفتاحاً سرياً لا يستهان به في الشاب العربي وفينا أيضاً.

وعلق د. خالد الرديعان على ما ذكرته أ. هيا السهلي بقوله: أعتقد أن من تقصدين هم الذين دخلوا السجن وقاموا بمراجعات شاملة لأطروحاتهم القديمة.. هؤلاء بزعمي يتحدثون بلغة لا تستوعبها العامة ويغلفون أطروحاتهم بمطالب سياسية قد لا تروق للبعض ومن ثم يعاد وصمهم بالخروج.. هي لعبة يحاولون إتقانها لكن - كما ذكرت - يظل الخطاب المتشدد هو الأعلى صوتاً.. هذا الخطاب المتشدد أشبه ما يكون بالشجرة التي نمت وهي مائلة الجذع واستمر ميلانها وها نحن نتفياً لظلال غصونها المائلة.

وبدوره أوضح م. حسام بحيري أن الأديان الإبراهيمية سامية لا غبار عليها نزلت للبشر لتتویرهم للصراط المستقيم ونشر الدعوة السليمة بين العباد. القائمين على نشر الدين وتعاليمه هم البشر وعلى مر الزمان اختلفت لغة الخطاب الديني باختلاف تعاليم وثقافة البشر القائمين عليه. نحن العرب مر علينا عصر النهضة التنويرية وأبدعنا بها بسبب أن المسؤولين عن نشر الدين كانوا من طبقة علماء يتمتعون بفكر مفتوح نحو جميع الثقافات الدينية والاجتماعية الأخرى الموجودة في عصرهم. بالمقارنة نجد علماء الغرب في الفترة نفسها كانوا منغلقيين ومنعزلين ويسود الجهل بينهم وخطابهم الديني في ذلك الزمن مشابه تماماً لخطابنا الديني الحالي بسبب البيئة المغلقة والجهل والانعزالية التي كانت تسود حياتهم والذي كان يعكس بيئتهم البدائية وكانوا السبب الرئيس في أن يعيشوا في عصور الظلام وتحت السيطرة المطلقة لكنيستهم.



فالمشكلة الرئيسة في الخطاب الديني هو البشر القائمين عليه والذين - للأسف - الأكثرية الغالبة منهم في مجتمعنا اليوم غير مؤهلين لمناقشة أو نشر أي فكر ديني للبشر. لانتاج إلى دراسات أو تحاليل عميقة لمعرفة نوعية الخطاب الديني ومدى ملاءمته للعصر الحاضر ولكن نحتاج إلى أن نشدد معاييرنا لمن يسمح له بنشر الثقافة الدينية وأن نصرّ على أن يكون مؤهلاً علمياً وفكرياً واجتماعياً وثقافياً. لا بد أن تكون لدينا غيرة شديدة على الدين وللدين ولا نسمح لكل من ينصب نفسه شيخاً أو داعياً أن يتولى المنبر. للأسف هذا وضعنا الحالي الذي نعاني منه.

وفي الإطار ذاته تساءل د. فهد الحارثي على نحو محدد: هل سمعتم قط إرهابياً من داعش أو من غيرها يقول : أنا أقتل لأنني جائع أو ليس لدي سكن أو وظيفة ؟ أو يقول أن الناس في بلادي لا يصلّون الفجر، إنهم يقولون دائماً بأنهم يقتلون لأن الأنظمة كافرة، ولأنها تناصر الكفار، أي أولئك الذين يمتهنوننا ويقتلوننا ويغتصبون حقوقنا، ويكيدون لنا ولأمتنا . وهؤلاء الشباب من الإرهابيين يريدون -بناء عليه- أن يقيموا دولة العدل والكرامة. لا تبحثوا في الإرهاب المستشري في الأرجاء عن الأسباب الأسهل .. اذهبوا إلى الأسباب الأكثر تعقيداً .. وستلاحظون أن الأحداث الأخيرة في المنطقة ستزيد في حجم الإرهاب وليس الفقر أو السكن أو الوظيفة. أعطوا الشباب الأمل سيدهشونكم ! واعتبر د. عبدالله بن ناصر الحمود أن من المثير للقلق دائماً الحديث عن التدين باعتباره أحد أهم وأعتى عناصر الإرهاب سابقاً والداعشية المقيتة حالياً. ربما لأن التدين في أصله خصلة جميلة تحمل صاحبها على كل مكارم الأخلاق. بالفعل، ليس أمراً محموداً النيل من التدين .. هكذا. لكن التدين الذي يعنيه كل من يقول بفاعلية التدين في حمل الفرد على الإرهاب أو الداعشية هو مجاوزة الحد في التدين.. والحقيقة أن من جاوز الشيء لا ينسب إليه، ومن ثم من جاوز حد التدين مرق من الدين أصلاً فلا يسوغ وصفه بالتدين .. الأمر إذن واحد من حالتين: إما وصف للإرهابي والداعشي باعتبار ما يظهره من علامات التدين قولاً وفعلًا، مما ينطوي على الدهماء وعامة الناس فيظنه الناس محض تدين، وإما حالة يسوقها الإرهابي والداعشي كإحدى أدواته الفاعلة في تجييش المشاعر وشحن المناصرة والتأييد، مستخدماً ما يحمله من شكل التدين وعباراته.. ومن باب آخر.. لا يمكن إغفال التدين هنا وهو التدين المجاوز للحد فالإشكال العظيم هو ذلك الحد الذي لم يجرؤ أحد حتى اليوم على تقينته لعلل كثيرة من أبرزها ثلاثة أمور: إما الخوف من الجراءة على الدين.



وبالتالي عزف كثير من العلماء الشرعيين عن تقنين دقيق لهذا الحد الفاصل بين المتدين والمارق. أو أنه المواربة ونكتة المروق في كثير من المتدينين الذين يروق لهم التشدد أكثر من التوسط في الدين، وهذا إشكال عظيم، حيث من هذه الفئة غالباً يخرج الأفراد المتطرفون والداعشيون ممن يخرجون من فئة المتدينين. أو أنه وصف يطلقه بعض ضعاف الفهم والجهال على كل متطرف وداعشي، وهذا خطأ معرفي لا يسوغ اقترافه أبداً. إذن، والحال كذلك، لا يسوغ إطلاق وصف المتدين عليه، بل المتطرف والمغالي والإرهابي والداعشي.. ونحوها.. ويكون النظر للتدين باعتباره أحد العوامل المؤدية للتطرف المغالاة والإرهاب فقط إذا تجاوز الحد. والتدين بهذه الخاصية (تجاوز الحد) يكون ابتداء كغيره من العوامل التي ما تجاوز المرء حدها إلا أفسدت كالسياسة والاقتصاد. ومن باب آخر، يعد التدين أحد أهم مشكلات الشخصية المسلمة، وأهم متغير من متغيرات النظرة للكون والحياة، والحكم على الأشياء، متقدم في ذلك على كافة المتغيرات المهمة الأخرى كالسياسة والاقتصاد، لعاملين مهمين هما قيمة الدين ذاته في الوعي الإسلامي، وطاقته الكبرى في تجييش العقول والمشاعر، فيستخدمه كثيرون لأغراض شتى، منها التدين المحض ومنها تجميع الناس وتجييشهم ضد رأي أو سلوك بحجة دينية وإن تجاوزت الحد. خلاصة الأمر، تحديد القضية الدينية، تماماً من المشهد، يبدو أمراً محموداً، بل مطلوباً. ويبقى المتطرف والإرهابي والداعشي مجرماً حتى وإن تعلق بأستار الكعبة.

ويرى د. زياد الدريس أننا نحتاج في نقاشنا الإصلاحي لما يجري حولنا وعندنا، أن نخفف من حساسيتنا تجاه نقد المتدينين (وإن بدا متحاملاً أحياناً) . ويعني بهذا أهمية التأكيد على الفرق بين الدين والتدين، الدين أمر سماوي مقدس، أما التدين فهو أمر بشري غير مقدس وقابل للشطط ومن ثم معرّض للنقد. وأضاف د. زياد أنه يشير إلى ذلك وهو يعي أمرين:

الثاني: أني ما زلت أزداد قناعة يوماً بعد آخر أنه إذا كانت القاعدة ظاهرة ذات جذور دينية فإن لا شيء يثبت حتى الآن أن ذلك يسري على داعش، فثمة دوافع سياسية وقومية واجتماعية ملفوفة بعناية في علبه دينية.

الأول: أن هناك من يريد أن ينال من الدين من خلال نيله من المتدينين، لكن هذه الذريعة المخادعة لا تبرر استخدام ذريعة مخادعة معاكسة تريد أن تحمي المتدينين من النقد بزعم حماية الدين!



تقصير النخب الثقافية والسياسية:

أشار أ. خالد الحارثي في تعليقه على ورقة مستقبل الخطاب الديني إلى أنه يعتقد أن بقاء الأثر الكبير للخطاب الديني وتغلبه هو دلالة على تقصير النخب الثقافية بكل أطرافها في حق مجتمعاتها لتوظيف الدين للسيطرة على الثروات والسلطة وحجب المعرفة وإبقاء الصراعات، والفشل في التنمية واليأس الذي حدى بالمجتمعات لتخطي غياب الأدوات البشرية للجوء إلى حلول إلهية متمثلة في الخطاب الديني والذي أوقعهم مجدداً في يأس مركب يخرج بهم نحو الحلول المتطرفة إما العنف والقتل أو تهमيش الشأن الديني أو حتى الإلحاد. وأوضح أ. خالد الحارثي أنه لا يختلف على التعريف الإجرائي للخطاب الديني الذي بذل الجميع جهداً في توضيحه وتبينه، كما ذكر أنه يتفق مع توصيف د. عبدالرحمن الهدلق للسماوات التي تجتمع للفرقاء كاملة من الصفرة الإقصائية والعالمية والشمولية والبساطة والعاطفية والتفاعلية، وهو ما يجعلها مدارس سياسية عنصرية وليست دينية، وذلك يفسر عدم قدرتها على تمثل قيم ومفاهيم التسامح والعدالة والاعتدال والحوار التي يقوم عليها الدين الإسلامي وهي غائبة تماماً عن السلوك السياسي والاجتماعي لهذه الجماعات أو المدارس إذا صحت تسميتها بذلك، وأما الظهور لتلك القيم من آن إلى آخر ليس إلا ظهور سطحي وفي صيغة الشعارات والديماغوجية التي تستخدمها في تعبئة الأتباع والتفاوض مع القوى السياسية والسلطة. وهذا أيضاً أي التناقض الذي تعيشه هذه المدارس في الوعظية الفوقية التي لا تحمل رافة ولا تواضعاً ولا زهداً بل انتهازية مغرقة ووصولية تستهين بحياة وحرية وعقول أتباعها وبين دعوة الدين للعدل والمساواة يزيد من إفلاسه الجهل بالعلوم السياسية والاجتماعية والاقتصاد والإدارة، والإصرار على تجاهلها وإسقاط الآيات والأحاديث عليها عنوة والزج بالعلم الشرعي فيها بل وحتى في العلوم التطبيقية والطبيعية بمقولات وبناء الحواجز الكبرى بين الأجيال والعلوم عن طريق توظيف الإعجاز العلمي للقرآن والسنة لصد الشباب عن التلقي المباشر للمعرفة ومصادرة التقدم العلمي من العلماء واختطافه. إن مستقبل الخطاب الديني هو أداة تشعل التطرف والإرهاب وتهدد أمن المجتمعات وليس بالإمكان أن تبقى أداة إصلاح طالما بقي التناقض ظاهراً بين الواعظ والقيم الأصلية للدين، سيقى الإرهابي أكثر شفافية وصدقاً في نظر الأتباع من الواعظ المحسوب على السلطة.



أيضاً هناك بعض القضايا ذات الصلة التي تحتاج إلى مزيد من النقاش حولها ومن أبرزها:

- أثر الخطاب الديني في الوظيفة الرسمية في جانب التشريعات وتوجهات الجهد والنشاط الحكومي : فبفضل تدين المجتمعات التي ينشأ في ظلها امتلاك الحقيقة قدمت الوظائف الرسمية مجالاً واسعاً للإسقاطات الواسعة لنصوص الشرعية على العقد الاجتماعي في اعتبار الإنسان والحقوق والخدمات والسياسة الاقتصادية والاجتماعية، ومن المنتج الخديج اقتصادياً الناتج من الخلط والصراع بين النظريات الاقتصادية ونظريات فقه البيوع والملكيات، وبين اعتبار الفرد كمواطن والأسرة كوحدة اجتماعية وبين نظريات القوامة والولاية فقهياً، وبين رعاية الدولة الاجتماعية للمرأة والطفل وحقوقهم في العيش الآمن وحق العمل وبين مفاهيم الاختلاط والولاية على القاصرين فقهياً، ونتج عن ذلك مفارقات ومآسي اجتماعية واقتصادية وإنسانية لا تنتمي إلى القيم الرئيسة للإسلام وأمنه الاجتماعي والفكري.
- آفاق استقلال الزعامة السياسية النسبي في الرؤية نحو التفوق الاقتصادي وقيادة المعرفة والبحث العلمي عن الزعامة الدينية والمذهبية نظراً لعدم الاختصاص وانتفاء الحاجة الموضوعية، حتى لا تتسبب بشكل مباشر في تعطيل التنمية والنمو الحضاري والمدني للمجتمعات، وهذه قضية أن أوان فرزها من دون مساس بمكانة الخطاب الديني عند المؤسسة السياسية.

ومن جهته تناول أ. عبدالله الضويحي مجمل ما تضمنته ورقة د. عبدالرحمن الهدلق حول مستقبل الخطاب الديني وتعقيب كل من د. فاطمة القرني وأ. كوثر الأريش. حيث يرى أن كلاً منهم تناول جانباً مهماً من الموضوع ما جعلها أكثر تكاملاً وإحاطة به من كافة الجوانب. فبالنسبة للدكتور. الهدلق: قدم ورقة شاملة لمفهوم الخطاب الديني وأشار لنقطة مهمة وهي تجاوزه الحدود إلى العالم غير الإسلامي خاصة الغرب. بينما أكدت د. فاطمة على البعد الإعلامي وأنهت تعقيبها بخلاصة مهمة تتمثل في الإشارة إلى أن المشكلة ليست في الخطاب بقدر ما هي فيما انحرف عنه من خطابات. أما أ. كوثر فقد أضلت لهذا الخطاب تأريخه ومراحله مشيرة إلى (اختراع التخصص) وهي مرحلة مهمة فيه. ولعل النقطة المهمة في الموضوع اتفاقهم أن الخطاب الديني والتيارات الفكرية المعاصرة كالليبرالية والعلمانية يسيران في خطين متوازيين.

والحقيقة من وجهة نظر أ. عبدالله الضويحي أن الخطاب الديني المتشدد الذي نتحدث عنه لم يكن وليد الثمانينيات أو ما بعدها .. فقد كان موجوداً في الستينيات والسبعينيات وأمرز حركة جهيمان وإن اختلفت أدواته وبعض ممن التحقوا بحركته (دون ذكر للأسماء) يعرفهم شخصياً -على حد قوله- وكانوا يجتمعون في مسجد معروف ويسافرون لباكستان حتى أن جريدة الرياض أوقفت بسبب نشرها صورة لفيروز بينما كان التلفزيون يبث المسلسلات.



وتسأل أ. عبدالله: لو توفر لهؤلاء وسائل تواصل كما هو الحال اليوم ما الذي كان سيحدث؟! ربما كما حدث الآن وربما أكثر! وفي ظنه أن مشكلة الخطاب الديني لدينا ليس في المرسل فقط ولكن في المتلقي وهنا الخطورة سواء كان مسؤولاً أو شخصاً عادياً ولا نعمم لكنهم الغالبية وهم على فئتين: إما تتقصهم الثقافة الدينية ومن ثم فهم مع كل رأي ديني أو فتوى ولهم مشائخ يسبحون بحمدهم ويمشون خلفهم ويؤمنون بما يقولون من دون مناقشة، أو مجاملون يخشون المواجهة مع هذا الخطاب وإن كانوا على حق خوفاً من تهميشهم اجتماعياً وإقصائهم. وهذا ما جعل هذا الخطاب يتمدد أفقياً وتتسع دائرته. واختتم أ. عبدالله مداخلته بتساؤلين:

الأول: أيهما أكثر تأثيراً على هؤلاء الشباب الخطاب الديني الموجه لمجتمع محدد (كما في وطننا) أم وسائل التواصل الاجتماعي ومواقعه؟

الثاني: في ورقة أ. كوثر أن الخطاب الديني بلغ أوج خدمته للمذاهب في العصر العثماني، حين بدأت الدولة الصفوية بسط نفوذها في القرن السادس عشر الميلادي وأصبح الخطاب الديني مجرد خادم للسياسة. والمعروف أنه في تلك الفترة ظهرت صكوك الغفران في أوروبا وسيطرة الكنيسة. ومن هنا يأتي السؤال: هل ثمة علاقة أو رابط بين الحداثين؟

بداية تفعيل الخطاب الديني المعاصر:

أستهل م. سالم المري مداخلته حول قضية مستقبل الخطاب الديني في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية بالقول بأن من الأفضل أن نحاول الفهم كيف ينشط الخطاب الديني المعاصر وسبب قوته وقدرته على تجاوز الحواجز، قبل الخوض في الواقع وتوقعات المستقبل. وجاء نص تعقيب م. سالم المري على النحو الآتي:

قد يذكر البعض المواجهات الحامية في الوطن العربي في الستينيات والسبعينيات على هامش الحرب الباردة بين حلفي وارسو والناتو فقد انقسمت معظم الدول العربية إلى معسكرين. المعسكر التقدمي المدعوم من قبل السوفييت وحلف وارسو وترعته القوى اليسارية والقومية في العالم العربي والمعسكر الحليف لأمريكا والغرب ومن هنا بدأ تنشيط وتطوير الخطاب الديني المعاصر حيث كان الدين أحد الأسلحة الفتاكة التي أطلقها المعسكر الغربي وحلفائه فقد شجعت ونشطت بعض الدول العربية مثل السعودية والأردن ومصر السادات الخطاب الإسلامي في بادئ الأمر لكي يلجم تمدد الفكر القومي واليساري الداعي للتغيير في المنطقة وللدخول من نفوذ المنظمات اليسارية المتطرفة، ففي المملكة احتضنت حركة الإخوان المسلمين المناهضة للناصرية في مصر والمناهضة للبعثيين في سوريا وتوجه الخطاب الديني مباشرة ضد الفكر القومي والاشتراكي، ثم بدأ ينشط الخطاب السلفي المحلي وكان الإسلاميون هم الوحيدين الذين يستطيعون عقد الندوات والاجتماعات والمخيمات الصيفية في المملكة.



وإقليمياً وبتصفيق حاد غربي وخذلان واضح للشاه انتصرت الحركة الخمينية بخطابها الاثني عشري المتشدد بطبعة إيرانية خاصة؛ هي ولاية الفقيه، لإبعاد حزب توده الشيوعي والقوى الإيرانية الاشتراكية الأخرى من الاستيلاء على السلطة لكي تقف هذه القوى الدينية سداً جنوبياً أمام المد السوفييتي الشيوعي

ثم بدأ الخطاب الجهادي موجهاً ضد السوفييت في أفغانستان مدعوماً من قبل الولايات المتحدة وحكومات عربية مثل المملكة ومصر وكانت الدعوة تتم علناً للجهاد في أفغانستان وسافر الشباب مدفوعي الكلفة إلى أفغانستان ولم يكن أحد في حينها يجرؤ على الدعوة للجهاد في فلسطين إلى درجة أن بعض الفلسطينيين كانوا يرددون مستكرين (وهل أصبحت كابول أقدس من بيت المقدس؟) وحدث ما حدث وبعضنا عاصر ذلك الخطاب ونتأججه. وعلى المستوى العالمي أيضاً أدخل الخطاب الديني على خط المواجهة لفصل بولندا الكاثوليكية من المعسكر الاشتراكي، وترغم ذلك البابا البولندي الأصل في الفاتيكان.

وقد انجلى غبار المعارك عن خيبة أمل كبيرة للكثير من المواطنين العرب (بما فيهم حاملي الخطاب الديني) فمثلاً في البلاد العربية استقلت الدول العربية وكانت الآمال كبيرة ولكن هذه الدول لم تحقق طموحات الناس على المستوى الوطني أو القومي فلاحم حرروا فلسطين ولاهم طوروا البلاد ولاهم أشركوا الشعوب، فالملكيات بقيت على ماهي عليه متشبثة بالحكم والثروة والجمهريات تحولت للتوريث والأحزاب القومية صارت غطاءً كرتونياً للطائفية والفجوة بين الغني والفقير في اتساع مضطرد، ومع أن معسكر السوفييت وأنصارهم انهزموا في آخر المطاف شر هزيمة إلا أن الخطاب الديني واصل مسيرته بطلا جديدة في كل أزمنة جديدة، وعندها بدأ الخطاب الديني العربي يتشعب وتحول إلى الحدة في الفكر والعنف في التعامل على عدة جبهات؛ فعلى المستوى السني الشيعي تصادم الخطاب الإسلامي السني مع الخطاب الشيعي التابع لولاية الفقيه في إيران، وهذا الخطاب تم تطويره ودفعه إيرانياً بدعوى ظاهرها الدين وباطنها أطماع إقليمية لا تتحقق إلا بتفتيت دول المنطقة .



وقد تغلغل في المنطقة العربية تحت ستار نصرة المظلومين والممانعة والمقاومة مستغلًا إهمال الدول العربية وضعفها ثم تبين لاحقاً أن المقاومة والممانعة ليس إلا اصطفاً طائفاً آخر يهدف إلى تكوين كيانات تابعة للنفوذ الإيراني على حساب الوحدة الوطنية وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بتصادم عنيف مع الخطاب السني والشيوعي العروبي وهذا ما يحدث حالياً. وعلى المستوى السني تطور الخطاب الديني ليغلب عليه الخطاب الجهادي ويتبرأ من الدولة الوطنية ويعلن الحرب على الجبهة الداخلية والقوى العالمية .

الواقع الحالي للخطاب الديني في المشرق العربي:

يمكن الملاحظة بوضوح أن القاسم المشترك في الخطاب الديني الإسلامي العربي المتطرف بشقيه الشيعي (التابع لإيران) والسني الجهادي هو فقدان الهوية العربية المشتركة ومحاربتها. ومع عودة الحرب الباردة مجدداً بين الروس والصين من جهة والولايات المتحدة والغرب من جهة أخرى استطاع الخطاب الشيعي الإيراني أن يجد في المعسكر الروسي حليفاً له في حربه ضد الخطاب الإسلامي السني تحت غطاء محاربة الإرهاب والمقاومة والممانعة ضد المعسكر الأمريكي بينما ظل المعسكر الأمريكي الغربي في حربه على الخطاب الإسلامي السني والمعسكران في حلف غير معلن يناهض قيام أي دولة عربية وطنية قوية في المشرق العربي، الحلف الأول مدفوعاً بالأطماع الإيرانية والحلف الثاني مدفوعاً بالمطامع والمصالح الإسرائيلية، والغالبية العربية السنية ترى الحلفين أعداء لها. وكون الدول السنية في غالبيتها حلفاء للجانب الأمريكي أصبح الخطاب الإسلامي السني المتطرف في حرب مع المعسكرين ومع الداخل .

المستقبل المنظور :

الصراع الروسي الأمريكي الحالي لم يعد عقائدياً كما كان في السابق بين الرأسمالية والاشتراكية بل أصبح صراع مصالح استعمارية ولذلك فإنه من الممكن أن تتغير الأحلاف بتغير المصالح إلا أنها تجتمع مع رغبة القوى الإقليمية (إيران وتركيا وإسرائيل) في تفتيت الدول العربية المشرقية ومن ثم فإن الخطاب الإسلامي السني المتطرف في المنطقة العربية من المتوقع له المزيد من التقوقع والحدة ضد الشرعيات القائمة لأنه يرى أنها خذلته ولا تمثله ولا تدافع عن حقوقه وكذلك ضد القوى العالمية التي يرى أنها تكالبت ضده. والخطاب الديني السني المتطرف حالياً هو في الحقيقة خليط بين الدين والقومية ومعظم الذين يقومون بالأعمال الإرهابية من الشباب الذين لم ينضجوا دينياً ولكن بدافع الثأر لكرامة مهذرة وحقوق مستباحة!



والحل لهذه المشكلة بالتأكيد هو فكري وسياسي بالأساس إضافة إلى تحسين الظروف المعيشية، أما فكرياً فهو العودة التدريجية للفكر الديني والقومي المعتدل الذي يدعو لدولة المواطنة والهوية المشتركة وينتصر للحق ويصون الكرامة وسياسياً عن طريق أخذ الدول العربية السنية الفاعلة مثل المملكة ومصر زمام المبادرة في الدفاع عن حقوق العرب في مناطق النزاع وعدم إتاحة المجال للمنظمات الإرهابية لأن تكون هي الحامية واحتواء الجماعات الدينية وتهذيب فكرها ونفي الإرهاب والتطرف عنها مع القمع الشديد للإرهابيين وتأديبهم والإصرار على وضع المنظمات الإرهابية من الجانب الآخر في قائمة الإرهاب كشرط لإدانة أي منظمة سنية بالإرهاب فغالبية الجمهور العربي ليس مع الخطاب المتطرف بل ينظر بإيجابية لما لديه ويرغب في تطويره ولكن هناك شعوراً بالحاجة للانتصار والمقاومة والرد على هذا الإذلال المتواصل للعرب في معظم قضاياهم وقد كان ذلك جلياً في مشاعر الناس في دول الخليج والدول العربية عند انطلاقة عاصفة الحزم حيث كانت مشاعر الفخر والاعتزاز واضحة على الكثيرين. ومن المتوقع أن يستمر التصادم بين الخطاب الإسلامي الشيعي الإيراني والخطاب الإسلامي السني والحل هنا أيضاً فكرياً وسياسياً فمن الناحية الفكرية تنشيط ودعم الخطاب الشيعي العربي وإشغال إيران الملالي بنصرة ودعم معارضيهما إلى أن تتطور مشاركة الشعب الإيراني بالقرار وتنتهي سيطرة الملالي على السلطة في إيران مع التطوير المستمر للقوة العربية المشرقية لتمثل رادعاً قوياً للأطماع الإيرانية والإسرائيلية وتطور لها هوية عربية وطنية مشتركة تكون جامعة ومقنعة لجميع مكونات مجتمعهما. كما أن من السيناريوهات المحتملة أن تتعقد الأمور في سوريا بدخول روسيا في الحرب مباشرة حيث من الممكن أن يعود شيء من الحد الأدنى من الاتفاق بين الخطاب السني الجهادي والولايات المتحدة والدول العربية السنية لاستئناف المعسكر الروسي الإيراني في سوريا!

وأشار أ. سمير الزهراني في مداخلته حول قضية مستقبل الخطاب الديني إلى أننا نعيش وفرة في إصلاح هذا الخطاب من دون أن نرى لهذه الوفرة أثراً ملموساً في حياتنا. فأى رؤية تستحضر الخطاب الديني بغرض مساءلته، لا بد أن تستحضر الخطاب السياسي بغرض المساءلة والحساب والنقد، ففقهاء المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس كانوا يختلفون على مكان وجود الشيطان، هل هو فوق الدبوس أم تحته كما تقول بذلك الأساطير، في الوقت الذي كانت فيه جيوش هولاكو تحيط ببغداد حاضرة العالم الإسلامي آنذاك.. هذه الوفرة، أفرزت لنا شعارات أيديولوجية قاتلة تضع العرب أمام الحصان، وتعيدنا خطوات إلى الوراء بعدما كنا خطونا خطوة إلى الأمام، وآخر هذه الشعارات "العلمانية هي الحل" التي برزت في مظاهرات العراق في دلالة واضحة على عجز المثقف والفقهاء العرب على صياغة خطاب أصيل ينتمي إليه، واكتفاؤه باجترار خطابات تكون في أصلها معادية لتكوينه الثقافي.



وذهبت د. فوزية أبو خالد إلى أن التعليق حول الخطاب الديني يحرض على أسئلة مهمة لمعالجة ذلك التابو المسكوت عنه وهو ازدواجيتنا ما بين الخطاب الديني المنطوق والخطاب الديني المعاش، وما بين التسامح مع خطابات الخارج والتشدد مع الداخل.

وقد أشارت بعض المداخلات السابقة إلى تلك العلاقة المكممة بين أزمة الشباب والتودش الداعشي بل والكثير من تخلفنا وبين رفض أن يكون الإصلاح السياسي جزءاً من بحث الإشكالية وتلك ليست معضلة الأنظمة وحسب، بل معضلة القوى الاجتماعية التي تضطلع بإبقائها قيد الصمت أو الالتفاف.

أما أ. عبدالله بن كدسه فقال: حقاً هناك نجاحات على المستوى الأمني فقط وهو يحسب لوزارة الداخلية .. أما على المستوى الفكري أعتقد أن الجهود ضعيفة جداً من قبل باقي الوزارات ... الإنترنت هو المنصة الوحيدة لهذه الجماعات. .. وهذا على مر التاريخ يتكرر في منطقة الشرق الأوسط .. لا توجد حركة معارضة أو إرهابية تستخدم وسائل الإعلام التقليدية .. الثورة الإيرانية الأولى استخدمت الكاسيت .. إبان حرب الخليج ومعارضة دخول القوات الأمريكية تم استخدام الكاسيت كذلك .. القاعدة استخدمت الإنترنت والإيميلات .. الثورة الإيرانية الثانية استخدمت الرسائل النصية .. الربيع العربي "تويتر، فيسبوك، يوتيوب" .. واليوم داعش تستخدم نفس المنصات. واتساقاً مع ذلك، أشار أ. مسفر الموسى إلى ما جاء بمقال له منشور بجريدة الرياض عام 2011م بعنوان: خطاب "الكاسيت" يغرد على "تويتر" .. حيث ذكر فيه: أنه ومن منتصف القرن الماضي وحتى هذه اللحظة ما زال بعض المعنيين بعلم الاتصال يناقشون المتغير الأساس المؤثر في شكل وثقافة الخطاب. بعضهم انحاز إلى مُتغير "الوسيلة" بوصفها منتجاً حضارياً تتشكل معه المدلولات الثقافية للاستخدام كدرجة التفاعل والمساواة والإحساس بالفردية ودرجة المشاركة الاجتماعية والسياسية.



في المقابل ما زال البعض الآخر يُغلب الجانب البشري في شقه الأعلى بوصفه مخططاً للأنظمة الاتصالية ومحددات لسياساتها، وفي شقه الأدنى صانعاً للخطاب ومستهلكاً له. وبالعودة إلى الوراء، وتحديدًا في عهد ازدهار ثقافة الكاسيت في منتصف الثمانينيات، استطاع الخطاب الاتصالي "للكاسيت" أن يُميز ذاته في عدة اتجاهات. من ضمنها قدرته على تجاوز الحدود الرقابية من خلال التسجيل وإعادة الإنتاج غير الرسمي. كما أنه وبشهادة المنتمين له في تلك الحقبة كان صوته يتسم بأشكال ومستويات محددة. فمن ناحية الانتماء، لم يكن الخطاب يُفرّق في الأولويات بين ما هو وطني وما هو عروبي أو إسلامي. على العكس، كان يشعرنا بأن كشمير قضيتنا الأولى وأنها جزء من حدود الوطن الجغرافي. كما أنه اتصف بالممانعة والرفض للمستجدات العصرية من خلال لغة التخوين وخطاب الكراهية للمنادين بالتحديث. وبحكم الوسيلة، والفاعلين في الخطاب، لم يكن المتلقي يشعر بالمساواة في العملية الاتصالية فالصوت يأتي من الأعلى بالأمر والنهي من دون أدنى محاولة للمشاركة حتى في التفكير. والأهم من كل ذلك صوته المهيج للمشاعر والذي حجب به واقعاً حقيقياً معاشاً واستبدله بواقع ذهني مزيف من خلال المبالغة والتضخيم.

في توتر رغم عدالة الوسيلة من خلال دعمها للحرية والمساواة واحترام الثقافات والحوار والتفاعلية- إلا أن ثقافة الكاسيت قد تسربت إلى ضاحية من مساحتها الشاسعة. في تلك الضاحية لا تشعر كمشارك بحدود جغرافية واضحة لانتماء بعض المغردين السعوديين، فسوريا هي السعودية والأخيرة ليست إلا جزيرة عربية. في الضاحية ذاتها ما زال خطاب الكراهية والتخوين ينخر في قيمة الحوار ولا تعتقدوا واهمين أن أحداً لم يكتب عبارة "زوار السفارات". في الضاحية عينها يعبرون بخطاب تهيجي عما يطلقون عليه "قضية المعتقلين" في تزييف للواقع الحقيقي الذي نعيش فيه، متناسين كل الأحداث الإرهابية التي لم تجف من سطوتها دماء الشهداء بعد. في الضاحية نفسها لا تتوهموا بأن الخطاب الاستغلالي قد انقرض فما زال لبعض المغردين مريدون متبرعون بإدارة الصفحة وقد كتبوا "لقد سمح لنا الشيخ بجزء من وقته الثمين لنقطف لكم هذا المقطع المسجل". إذن ومن خلال المقاربة السابقة لاختبار تأثير متغير الوسيلة على الخطاب، يتضح أن الوسيلة رغم اختلاف قيمها الاتصالية إلا أن تأثيرها لا يزال محدوداً بالمقارنة مع العنصر البشري في جميع مستوياته.



وبدوره أوضح د. عبدالرحمن الهدلق أن الإشكالية تكمن في أن من يتأثر بخطاب داعش ينقله لأصدقائه وأقاربه كالفيروس وهذا يزيد من فرص التجنيد. وتساءلت أ. علياء البازعي: هل كان الفكر الداعشي سينتشر لولا وجود الإنترنت؟ وأجاب د. عبدالرحمن الهدلق بأن أهم أدوات انتشار خطاب وفكر داعش وسائل اتصال اجتماعي + الاتصال الاجتماعي عبر الأصدقاء والأقارب. واتفق أ. عبدالله الضويحي مع هذا الرأي بقوله: الإنترنت عامل مهم ومؤثر في انتشار هذا الفكر. وأضاف أ.د. عبدالرحمن العناد: ولا تنسوا زرع أسس التشدد الديني منذ الطفولة المبكرة بالبيت والمدرسة .. البذور تزرع مبكراً.

وتساءلت د. سامية العمودي: ألا نمتلك نفس الأدوات والتقنيات؟! .. لِمَ لا نستخدمها لجرعة مضادة .. أيضاً لنفتح أبواب الحياة ولنغير ثقافة الموت وجماله التي يعتقونها؟! وأضاف أ. عبدالله بن كدسه: لابد من حملة كبيرة مقنعة تستخدم المنصات نفسها وتزاحم هذا الظلام الموجود. وعلق أ. عبدالله الضويحي بأن الأدوات والتقنيات وحدها لا تكفي .. نحتاج إلى فكر يستطيع توظيفها.

وأشار د. حسين الحكي إلى ضرورة التصدي لبعض صور الخطاب التي غرست في شبابنا فكراً متشدداً جداً، تطور ووصل إلى حد أننا وصلنا لمرحلة قتل من يختلف فكره عن فكرنا حتى لو كان من الأقربين! وأكد د. حسين أنه بالدراسة والتحليل سنصل لسمات معينة تميز شخصية الداعشي وتميز الشخص الممكن أن يتدعشن.

وأضافت أ. علياء البازعي: نحتاج لغرس المفهوم الصحيح للجهاد ... الجهاد ليس مدفع ورشاش ... الجهاد يكون في طلب العلم ... في تحمل العمل الشاق ... في بناء الوطن ... وأعظم الجهاد جهاد النفس.

وقال د. عبدالرحمن الهدلق: أعتقد أن وزارة التعليم في حاجة ماسة وعاجلة لتفعيل الأنشطة المضادة لفكر داعش وإعادة النظر في مهامها التربوية، ومثلها الشؤون الإسلامية. كما أن من المهم تكثيف دورات الحوار في مؤسسات التنشئة الاجتماعية وخاصة المدارس والجامعات وتدريب الشباب على أساليب الحوار واحترام الرأي الآخر. فضلاً عن الحاجة إلى زيادة الجرعات في مناهجنا فيما له علاقة بالتسامح والابتعاد عن الآراء المتشددة التي يكون الاختلاف فيها مقبولاً. إن فكر داعش ليس حصراً علينا؛ فتونس وعدد من الدول العربية والغربية يعانون منه بدليل أن التونسيين أكثر عدداً من السعوديين في سوريا.



وعلق د. عبدالسلام الوابل على ذلك بقوله: لم يعان المجتمع التونسي معشار معشار ما يعانيه المجتمع السعودي من داعش. الفارق هائل حتى لو كان التوانسة لدى داعش أكثر من السعوديين.. إن قياس حجم ظاهرة داعش في مجتمع من خلال عدد النافرين من أبناء هذا المجتمع قياس مضلل. إن كان عدد النافرين من أبنائنا لداعش 2000 ومن التوانسة 2500 وداعش اقنعت 40 من أبنائنا بتنفيذ 17 عملية إرهابية مثلاً مقابل عمليتين لداعش فقط في تونس فإنه لا شك أننا نواجه واقعاً أخطر مما يواجهه التوانسة. وأضاف أ. عبدالله الضويحي: نحن مستهدفون أكثر من التوانسة ومن أي بلد آخر.

وقالت أ. علياء البازعي: لا أعتقد أن مشكلتنا مع داعش تشابه مشكلة أي بلد آخر... مشكلتنا في سيطرة فكر معين... وهذا الفكر يؤيد "بعض" تصرفات الدواعش في الخفاء... لأنه أصبح يخاف أن يصرح بذلك. أما أ.د. عبدالرحمن العناد فيرى أن الاكتفاء بكون الداعشية منتشرة عند غيرنا أيضاً يعد -في رأيه- هروباً من مواجهة مشكلة في بلدنا أو هو تقليل من أهمية المشكلة عندنا.

الخطاب الإسلامي والسياق السياسي الدولي:

أضاف د. منصور المطيري أن م. سالم المري تناول في مداخلته السياق السياسي الدولي الذي يتأثر به الخطاب الإسلامي في انتشاره وانحصاره واقتصر في تناوله لهذا السياق على صراع القطبين خلال السبعينيات وما بعدها وقد أجاد في ذلك غير أن من المهم التنبيه إلى أمرين في هذا الخصوص:

الأول: أن علاقة الخطاب الإسلامي المعاصر بالسياق السياسي الدولي يسبق هذه الفترة بكثير ويعود إلى أيام الاستعمار حيث نشأت حركات التحرر بفعل خطاب إسلامي مقاوم يقوده العلماء في أغلب بلاد العالم الإسلامي.. كما أن الصراع الفكري بين الخطاب الإسلامي والخطابات المستوردة تسبق هذه الفترة بأكثر من قرن.. من أيام ظهور الدعوات القومية والوطنية والإلحادية التي كانت تروج لها بعض المجلات كمجلة المقتطف مثلاً.



الثاني: أن الإيحاء بأن الغرب هو الذي يطلق الخطاب الديني ليس سليماً .. نعم .. الغرب لديه القدرة عبر وسائل متعددة على تحجيم الخطاب الإسلامي الفاعل ولكنه لا يدعم هذا الخطاب أبداً وإنما يترك - إذا رغب- هذا الخطاب لينمو بحكم طبيعته، وكلما ترك نما وتوسع لأن الاتجاه نحو الانتشار صفة طبيعية وذاتية في الخطاب الإسلامي نتيجة وجوب الدعوة والأمر بالمعروف.. وهذا ما حصل أيام أفغانستان، وعكسه حصل في البوسنة .. وهنا لا ننفي دور السياسة في تفصيل الثوب الذي تريد وإطلاق الطيف الذي تختار تحت وصف الإسلامي ولكن مثل هذا الاختيار السياسي سيعيش في صراع مع الحقيقة المخنوقة وسيظهر صوتها في اللحظة المناسبة.

إن الخطاب الإسلامي هو المعبر الرئيس عن هوية الأمة الحقيقية وعن قيمها الأصيلة، ولذلك فهو لن يموت ولن يختفي بل سيشهد في حال الشدة وسيتمدد في حال الرخاء .. وأما في اللحظة الراهنة فهو واقع تحت ضغط هائل في أغلب دول العالم الإسلامي ليس بسبب عجزه وعدم صلاحيته ولكن بسبب هيمنة وسيطرة وتوسع الفكر الأوروبي العلماني على العالم بفعل القوة العسكرية والسياسية والإدارية للقوى الأوروبية وقدرتها على الترغيب والترهيب، وبسبب تشكل عقلية بعض النخب المثقفة في العالم العربي والإسلامي ووقوعهم أسرى لفلسفات مناقضة للفكر الإسلامي، وبسبب عجز النظم السياسية في العالم العربي والإسلامي عن حماية خياراتها أمام الطغيان الأوروبي .. الفكر الأوروبي لا يحترم الخصوصية إلا إذا كانت سلبيةً وسلبيةً تجاهه أو كانت متقبلةً لهيمنته .. وهذا مؤثر رئيس في تشكيل مواقف وخطاب الفكر الإسلامي المعاصر من بعض التحديات والقضايا التي تطرحها هذه الهيمنة الأوروبية والتي تزداد يوماً بعد يوم.. الخطاب الإسلامي يحتاج إلى ما يلي:

- الاهتمام بالفكر جنباً إلى جنب مع العاطفة وتقديمه عليها .. الفكر يعني الاهتمام بالنقد والتحليل وتنمية الملكة العقلية عموماً .. والعاطفة تعنى بالمشاعر وإذكاء الحماس .. وهذا يطرح قضية التكوين العلمي للمفكر المسلم .. للأسف الشديد هناك نقص في التكوين العلمي للمفكر المسلم .. هناك وفرة في الوعظ وقلة في المفكرين.

- الجنوح إلى التطرف عموماً يعود إلى بقاء الفكر أسير الفضاء التنظيري وعدم إتاحة الفرصة في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية لأصحاب الفكرة لاختبارها وتعديلها على أرض الواقع بسبب الأنظمة السياسية القائمة لكل فكرة مغايرة .. ولذلك فإن الفكرة تتضخم نظرياً في ذهن أصحابها ثم تتطرف من دون أن تتاح الفرصة لاختبارها وتلطيفها عن طريق ارتباطها بالواقع ... في الغرب الفكرة المتطرفة تضحل لأن المجال متاح لمعتققيها لاختبار جدواها وصحتها واقعياً عبر أنظمة سياسية تتيح المجال لأصحاب الأفكار لاختبارها.. ولذلك فإن الخطاب الإسلامي مرتبط في نضجه بطبيعة النظم السياسية الحاكمة في العالم العربي والإسلامي .. يثمر إذا نضجت، وإذا لم تفعل فإن ردود الفعل لا يمكن السيطرة عليها.. والمرحلة الحالية خير شاهد على ذلك.



إنه وعبر التاريخ المعاصر تشكلت مواقف ورؤى الخطاب الإسلامي من خلال استجابته للمواقف والقضايا والسياسات التي يتخذها خصومه والمتمثلة في القوى الاستعمارية وما لحق بها من تيارات فكرية لا دينية وأنظمة سياسية اختارت هذا الطيف أو ذاك من هذه التيارات. ولم يتح للخطاب الإسلامي اختبار رؤاه ومواقفه، ولم يتح له تكوين نظرية اجتماعية سياسية اقتصادية تفسر الواقع الدولي والمحلي بشكل سليم وتساعده على التعامل معه.. بالنسبة للمملكة العربية السعودية كنظام وثقافة لا يمكن عزلها وفصلها عن الخطاب الإسلامي.. فهو أساس وجودها وأساس تماسكها واستمرارها وهو متجذر في مؤسساتها وهو تجذر رائع يجب أن نحافظ عليه، ليس الخطاب الإسلامي في المملكة محصوراً في الخطاب الوعظي كما يصور البعض بل هو متأصل في الجوانب التشريعية والتربوية والقضائية وغيرها.. وقد استطاعت المملكة بخطابها الإسلامي المعتدل تجاوز أزمة النظرية لدى بعض الحركات الإسلامية حيث اعترفت بالشرعية الدولية ولم تتصادم معها وتحفظت على ما يصادم الهوية الإسلامية.. إضافة إلى أنها أعملت مبدأي المصلحة والقدرة في التعامل مع هذه القوى الطاغية العظمى، فالأحكام تسقط بالعجز.. يشغب على هذا الخطاب الذي يشكل هوية المملكة خطاب آخر بئس ومفلس أسميه الخطاب الأهوائي من اتباع الهوى، وهو خطاب يرى لحيته وسذاجته أنه يشق طريقاً مبتكراً وجديداً.. وهو في الحقيقة يجرننا إلى الهاوية في الطريق نفسها التي سلكها الليبراليون والعلمانيون العرب الأعتى والأكثر مصداقية من أهوائي السعودية.. فالليبراليون والعلمانيون العرب يحملون شهادات متعددة في الفشل والعمالة والفساد والتفريط في الهوية والحقوق، وهذه الشهادات لا تسعف الليبرالي السعودي الذي بدأ حديثاً في ركوب موجة المنظمات الدولية غير الحكومية، كما اشتغل من دون كلل ولا ملل على تقديم نفسه محارباً للتطرف والإرهاب ولكن بالمفهوم الأمريكي الذي يرى القرآن وتعليمه وتحفيظه مصدراً للإرهاب.. استخدم هذا الخطاب فرشة عريضة في معالجته للتطرف كشفت مع الأيام أن هدفه ليس التطرف وإنما الخطاب الإسلامي بشكل عام.. أذكر مقالة كتبها المفكر السوري الذي كان يسارياً ثم تحول ليبرالياً نضال نعيسة عن الليبرالية السعودية حيث قال أنها تجرأت على ما لم تتجرأ عليه الليبرالية العربية فهو يرى أنها تطرفت غاية التطرف.



الجدل حول داعش وعوامل تدعشن الشباب:



من وجهة نظر د. عبدالله بن ناصر الحمود فإن الجدل حول داعش.. كالجدل حول أيهما خلق أولا الدجاجة أم البيضة.. في موضوع داعش صدمة بشرية آدمية مدادها إهانة البشر بعضهم لبعض. ولن ترفع الدعشة إلا برفع الإهانات التي يتلقاها بعض البشر من بعض البشر يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} فكرامة الإنسان حق في أصل الخلقة. فمن أراد أن يعرف كيف يتمرد البشر على بعضهم، فليبحث في مركبات الكرامة وبقدر التَّيْل منها تتشكل ردات الانتقام ولن ترفع من الأرض حتى يعم قانون السماء فليُنظر أحدكم من أين جاءت داعش.

وحاول د. حسين الحكمي تحليل بعض عوامل تدعشن الشباب بالتطبيق على الحادثة الأخيرة لسعد قاتل ابن عمه وشقيقه الذي تولى تصوير فيديو الجريمة. وذكر د. حسين في هذا الصدد ما نصه: من كلام والد سعد أن ولده كان عاطلاً عن العمل = فراغ وحالة اقتصادية بسيطة... يجلس على الإنترنت = عامل آخر له تأثير فكري... سعد ليس له أصدقاء ولا يخرج كثيراً = له تفسيرات عدة بسبب نقص المعلومة، يمكن أن يكون لديه مشكلة نفسية أو ذهنية. وربما نجم عن انعزاله الناس عدم اطلاعه على أفكار ورؤى مختلفة فكان سهل إقناعه بالفكر الداعشي.. العمر 19 سنة أي أنه ما يزال بحسب علم نفس النمو ضمن مرحلة المراهقة -المراهقة المتأخرة- والفرد في مرحلة المراهقة يتصف بعدة صفات منها أن شخصيته غير مستقرة، قلق، تقلب المزاج، يشغله المستقبل، تأثر على الجيل الذي يسبقه، يكره التبعية والتسلطية، يمر الجسم بتغيرات جنسية كبيرة (يمكن ربط ذلك بالترغيب بالهور العين)... الشاب في هذا السن يحب أن يشعر بنفسه ويفتخر بها وبعضهم يختلق قصصاً فقط ليشعر أنه بطل. تختلف أنماط المراهقين، لذلك ليس كل مراهق معرض للتدعشن ويمكن وضع ثلاثة أنماط للمراهقة:

مرحلة مراهقة
متمردة ضد الأسرة
والمدرسة والمجتمع
وكل أشكال السلطة.

مرحلة مراهقة يتصف فيها
المراهق بالانعزال والانطواء
ويميل للقراءة وممارسة
الأنشطة الفردية ومشغول
بنفسه ومشكلاته، يكثر من
التأمل وينتقد النظم الاجتماعية.

مرحلة مراهقة هادئة
في أسرة مستقرة
وفي ظل ظروف
اقتصادية واجتماعية
ونفسية طبيعية.



ويرى اللواء د. سعد الشهراني بخصوص انجراف الشباب نحو الدعشة أن هناك وهماً يباع ويسوق ويروج من قبل داعش وكل فكر مناهض للمجتمعات وللانستقرار وللنظام، هذا الوهم هو وهم البطولة والشجاعة أمام واقع محبط على المستوى العام والخاص .. يخاطب هؤلاء الأغرار بانهم أحفاد العرب المسلمين الشجعان وأن الحكومات العربية فاشلة وأن القوى العالمية تهيمن على المسلمين والعرب وتحقرهم وأن الحكومات عميلة وعاجزة ومن لها إلا أنتم يا أحفاد صحابة محمد فيستيقظ وهم البطولة والشجاعة الزائفة ربما في لحظة على الإنترنت .. هذا جانب نفسي استغله المتطرفون الذين يخدمون -من حيث علموا، وفي الأغلب من حيث لم يعلموا- مصالح القوى الدولية المهيمنة المتكاملة التي يدعون ويتوهمون أنهم يواجهونها ليبقى المسلمون متخلفون يقتل بعضهم بعضاً وقوى مفتتة يفتك بها هذا السل من الداخل وييقون على هامش العالم المعاصر ولا قيمة لهم في عالم تختل فيه موازين القوى اختلالاً رهيباً ونعلم موقع العرب والمسلمين تحت السلم وليسوا حتى في أسفله .. وعليه فإن استغلال طاقة الشباب الهائلة بما يجعلهم يحسون بالأهمية الاجتماعية والسياسية يبقى أمراً مهماً جداً.

وفي مداخلة لاحقة أوضح اللواء د. سعد الشهراني أنه يعتقد أن قضايا الفقر والبطالة، وعلى وجه الخصوص الفساد والفشل التنموي، تستخدم من منظمات العنف والتطرف ضد النظام السياسي وكدليل على فشل الحكومات وللتجيش والتجيش ضد الأنظمة وتجنيد المريدين والاتباع. ومن المهم أيضاً في المقابل أن ندرك أن النجاح -ولو نسبياً- والصدق في معالجة هذه القضايا يحسب أيضاً للحكومات ويمكن تحييره سياسياً للتخفيف من الاحتقانات المجتمعية ويتم الحديث عنه ك نجاح سياسي. ومن ثم فإن الربط والحديث السطحي عن القضايا الاقتصادية كأسباب للإرهاب والعنف والتطرف من غير إدراك هذا الجانب قد لا يكون موفقاً ... القضايا الاقتصادية يجب أن تأخذ مكاناً متقدماً حتى لذاتها بعيداً عن الجدل السطحي حول المشكلتين الاقتصادية والأمنية ... كل القضايا الوطنية مترابطة سواء اتفقنا أو لم نتفق.

وعلق د. خالد الرديعان على ما طرحه اللواء د. سعد بقوله: لاحظت - ربما كما لاحظ غيري- أن المنتمين لداعش والجماعات المتطرفة في مناطق الأطراف في المملكة والمناطق الريفية ينطبق عليهم سبب الفقر والبطالة كدافع أساسي للانتماء لهذه الجماعات بينما تختلف الأسباب في المدن الكبيرة فمعظم هؤلاء يفدون من الطبقة الوسطى وبعضهم من أسر معروفة لا تعاني من وضع اقتصادي سيء... انتبهوا لمناطق الأطراف والريف والهجر البدوية... أرى أن المناطق الريفية والقرى والهجر بؤر أساسية في عملية تكوين الخلايا.. فهناك مرونة التواصل والاختفاء والتجيش بعكس المدن.



وزارة التعليم والأنشطة المضادة لفكر داعش:

تساءل د. خالد بن دهيش: كيف يمكن تفعيل وزارة التعليم للأنشطة المضادة لفكر داعش وإعادة النظر في مهامها التربوية أو خطابها أو رسالتها التربوية؟ وأجاب د. عبدالرحمن الهدلق بقوله: أعتقد أن الوزارة يجب أن يكون لها إستراتيجية واضحة تستهدف التطرف بكاملة وليس داعش فقط فالخطة الإستراتيجية الشاملة يجب أن تعالج المنهج الخفي الداعشي وإلا لم تكن خطة شاملة، وعلى العموم المنهج الخفي بدأت محاصرته نوعاً ما في وزارة التعليم عبر ضبط الأنشطة اللاصفية.

وبدوره ذكر أنه بحكم عمله بالإشراف على التخطيط بالوزارة سابقاً فإنه يرى أن الإستراتيجيات والخطط موجودة، وبالمقابل المنهج الخفي الجهادي والداعشي الذي يغذى من خارج أسوار الوزارة موجود أيضاً. أما الأنشطة اللاصفية فهي تعد بالفعل جزءاً من المعالجة، وقد تضمن مشروع الملك عبدالله لتطوير التعليم العام المعلن قبل ثمان سنوات المعالجة من خلال المحور الرابع للمشروع (دعم وتطوير الأنشطة اللاصفية) لضمان توجيه الشباب فيما ينفعهم وينفع الوطن، لكن للأسف لم يفعل هذا المحور وتم التركيز أو البدء في إيجاد قاعات في المدارس لمزاولة الأنشطة. .. نأمل أن يكون دمج الوزارتين (التعليم العام والتعليم العالي) يسهم في إعداد معلم كفؤ ومتمكن وغير مؤدلج لنضمن اختفاء المنهج الخفي، ولو تم إنجاز ذلك تحقق الهدف من دمج الوزارتين.

وتعتقد أ. ليلي الشهراني أن تعاملنا مع التعليم لم يتطور أو تتغير أدواته، ما زالت سياسة التلقين حتى في مسألة الوطنية حاضرة وبقوة، نتعامل مع عقول الصغار الطرية بالطرق البدائية ولا نستفيد من التقنيات الجديدة، معظم المغرر بهم هم من الشباب الصغار في السن وتعليمهم محدود، وتجدهم من رواد مواقع التواصل، دخلوا عالماً جديداً بعقول غير محصنة وأفهام سقيمة، حتى تعرف كيف يفكر هؤلاء أنظر كيف يناقشونك في فكرة أو كيف يديرون أي حوار، إما بأسلوب الببغاء بمعنى ترديد ما يقوله رمزهم، أو الشتم والبذاءة . وزارة التعليم تستطيع أن تفعل كثيراً لهؤلاء، الفكر لا يعالج إلا بالفكر، لماذا لا يستفاد من التقنيات الحديثة في بث برامج توعوية ومسابقات بحثية للطلاب والطالبات؟ إشراكهم في برامج تخدم البلاد وتنمي الحس الوطني لديهم، وتكون هذه البرامج متنوعة دينية ثقافية طبية وغيرها ... إن أردنا أن نجتث الخبث من حدائق الفكر فلنحاول أن نزرع مكانه ما ينفع.



وأكدت أ. علياء البازعي على أن دور وزارة التعليم مهم وأساسي.. لكن سياسات التنفيذ تحتاج لدراسة.. فلا يزال هناك خلط واضح بين مفهوم الأمن الفكري والوطنية. وعلق د. حميد المزروع على ذلك بأن الوطنية تشتت ما بين الانتماء للعائلة والقبيلة والمنطقة! ربما ثقافة البادية ما زالت توجه بوصلة الوطنية!

ويرى د. عبدالرحمن الهدلق أن الإشكالية أحياناً في موضوع الانتماء والهوية وهو نتاج صراع بين الهويات الكبرى والصغرى منها الأمة الوطن القبيلة الأسرة. ومن جهته قال د. خالد الرديعان: الكلام عن داعش وفكر داعش كثير وكل مرة نعيد نفس الأفكار والكل يتمترس خلف أطروحاته من دون الولوع إلى لب المشكلة الأصلية وهي لماذا يستدعش أبناءنا؟ يستدعشون لأن البيئة الاجتماعية برمتها خضبة لممارسة التطرف والتشدد حتى على المستويات غير الدينية.. يمكن تلخيص أسباب المشكلة بعاملين:

- الفقه الجامد.

- غياب الإصلاحات السياسية التي تنفس من الاحتقانات الاجتماعية.

ويعتقد د. علي الحكمي أن الإشكالية في تحديد المتأثرين بالفكر الداعشي هو أننا ننظر للشخص هل هو داعشي أم لا، يعني أسود أو أبيض. وفي هذا الإطار يمكن طرح رؤية مختلفة مضمونها أن الفكر الداعشي هو طيف من الأفكار والاتجاهات SPECTRUM يحوي في أحد أطرافه من اعتنق فكر داعش بالكامل وبوعي منه، وعلى الطرف الآخر من تأثر ببعض جوانب فكر داعش فقط وقد لا يعي أنه يعتنقها. وما بينهما متأثرون بدرجات مختلفة. هذه الرؤية قد تساعدنا على فهم الظاهرة وقياس نسبتها والوقاية منها ومعالجتها بشكل أفضل.

وقال د. مسفر السلولي: منذ فترة وأنا أفكر كيف يمكن لشاب وفي غضون أسابيع أن يقتنع بفكر داعش ثم يتطور إلى الجراءة على القتل ثم قتل الأقارب. ويدور في ذهني سؤال قد يكون ساذجاً وهو: هل يمكن من خلال تويتر أو غيره من وسائل التواصل السيطرة التامة على الشخص المقابل؟ هل يكون من خلال أدوات كالسحر مثلاً؟ ومن ثم توجيهه لتنفيذ ما يريده الشخص الآخر؟ وعلق د. مساعد المحيا على تساؤل د. مسفر بقوله: هؤلاء يعيشون إحباطات سياسية واجتماعية واقتصادية.. إلخ وليس بالضرورة أن يكون هذا كله لدى جميعهم... نحن كنا نعيش قبل 40 سنة فكراً متشدداً بل منغلماً ولم يكن هذا السلوك موجوداً.



واختلف أ. عبدالله الضويحي مع ذلك بقوله: قبل 40 سنة تولد عنه جهيمن .. وقتها لم يكن هناك نت ولا تواصل اجتماعي ولا انفتاح إعلامي .. ربما لو وجدت لعشنا ذلك وربما لا! ولخصت د. فاطمة القرني المسألة بقولها: أمان اقتصادي .. حياة كريمة .. ثقافة فرح وحياة .. هذا باختصار ما يحمي الشباب من شرور الدعشة. وأضافت د. الجازي الشبيكي إلى ذلك: (التربية المعتدلة السليمة، المستوى المتقدم من التعليم، العناية بالصحة، الضمان الاجتماعي اللائق، وسائل التحفيز على الابتكار والاختراع، الأمان الاقتصادي، احترام حقوق وكرامة الإنسان، العدل والمساواة، تطبيق القانون على الجميع بلا استثناء، الحرية في التنقل والتنزه، قيم أخلاقية يُتفق على الالتزام بالحد الأدنى منها وما فوق، أماكن ترفيه متنوعة وكافية ولائقة).

في حين قال أ. عبدالله بن كدسه: لا أحب أن أكون متشائماً ولكن أي أمان اقتصادي وحياة كريمة في ظل غلاء المعيشة والبطالة .. وأي ثقافة فرح ومرح إذا كان السوق - مثلاً - لا يدخله الشاب بمفرده بدون عائلة .. ماهي أماكن الترفيه التي يمكن أن يذهب لها شاب في ال 18 أو حتى في 25 سنة؟

وتساءل أ. مطشر المرشد: كيف نحصن شبابنا ؟ خاصة المحبطون، المدمنون، المصابون بأمراض نفسية .. وأوضح د. عبدالرحمن الهدلق أنه ما زال عند قناعاته بأن الحرمان النسبي الذي يعيشه بعض الشباب والجوانب النفسية والشخصية للفرد مع فكر متطرف عنيف يستغل ذلك ويجند الشباب وينتج لنا التطرف العنيف، وهذه هي النظرية الأساسية لرسائله في الدكتوراه عندما درس جماعات العنف في مصر كحالة دراسية.

وتساءل أ. خالد الحارثي كذلك : هل سنبقى ننظر لأتباع داعش أنهم مغرر بهم؟ إلى متى يقتلون العزل والأبرياء كما فعل أحدهم بخاله والآخر بابن عمه .. قتلوا العزل الأبرياء وقتلوا المصلين في المساجد؟ هل الحلول مقتصرة على الجانب الأمني؟ هذه عقول يعبث بها ويوظفها البغدادي وأعداؤنا الظاهر منهم والخفي؟

الجانب الأمني آخر الحلول:

يرى أ. عبدالله بن كدسه أن الجانب الأمني يُفترض أن يكون آخر الحلول .. عامل المعالجة الأول هو الجانب الفكري. وأشار أ. عبدالله في هذا الصدد إلى مقال له منشور بصحيفة الحياة بعنوان: الإرهاب في المملكة .. التشخيص والحلول، وجاء فيه: من مراقبة المشهد في المملكة يتضح أن هناك نجاحات للمؤسسة الأمنية، متمثلة في جهود وزارة الداخلية لمكافحة الإرهاب وضعف مؤسسات المجتمع الأخرى.



كل الجهود في حدود فكرة التحاور مع الإرهابيين أو توعية المتعاطفين، وهي جهود قد تعالج بعض الحالات الفردية، ولكنها لا تنفذ إلى العمق؛ لاجتثاث الإرهاب من جذوره. يجب علينا التعرف على بيئة هذا الإرهابي والظروف والعوامل التي تغذيه وتجعل منه إرهابياً، ومن المواطن البسيط متعاطفاً. علينا التعرف على المناخات الفكرية والخطاب الثقافي والظروف الاجتماعية التي تغذي الإرهاب وتعيد إنتاجه وتعطيه ذلك البريق في قلوب الشباب وعقولهم. مع كل حدث إرهابي أو قبض على خلية إرهابية نجد المال والرجال والسلاح، كيف وصلوا إلى هذا العدد؟ ومن أين أتى هذا المال؟ وكيف جاءت هذه الأسلحة؟ في كل مرة نحسب أننا وصلنا إلى نهاية هذا النفق المظلم نجد أنفسنا في مواجهة جديدة، المال يتدفق والسلاح متاح والإرهابيون يتزايدون عدداً وعدة، وأخطر ما في الإرهاب هم المتعاطفون، من يحمل هذا الفكر ولا يحمل السلاح، هذا من يتعاون ويمرر ويمول ويغض الطرف، وقد تناولهم خطاب الملك سلمان حول تفجير القديح. يجب أن نعرف ما الجاذبية الموجودة في الإرهاب؟ وما الجاذبية التي تجعل الحياة ترخص لدى الإنسان ويترك والديه وأهله ومجتمعه ووطنه ويُقدِّم على تفجير نفسه؟ كيف يتحوَّل هذا الشاب من شخص يحب الحياة ويريد التميز والنجاح وتحقيق الذات إلى كاره للحياة عنيف ومقبل على الانتحار. صائب الجهد الأمني بعض الحملات المتواضعة في خطابها الفكري والعاطفي والإنشائي، خطاب ضعيف ومكرر عبر وسائل الإعلام الرسمية، وقد يكون لهذا الخطاب الفكري أثر في البداية، لكنه تحول مع الوقت إلى صيغ خطابية إنشائية سطحية جامدة لا تؤثر في المتلقي ولا تقنعه. الحل الأمني وحده قد يُشعل فتنة، فمع الأيام سنجد أن كثيراً من الأسر فقدت أحد أفرادها إما بالسجن أو بالقتل، وهذا قد يثير رد فعل سلبي عنيف ضد الدولة. الحل الأمني يفترض أن يكون آخر الحلول، فهذا الفكر الإرهابي يجب أن تتم إواجهه بالفكر والصوت والقلم وبالحجة والمنطق والعقل. ولكي نصل إلى حلول يجب أن نجيب عن هذه الأسئلة: ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ وما الذي حدث؟ وهل كان بالإمكان تجنب ما حدث؟ وكيف يمكن تجنب ما حدث مستقبلاً؟ وبقراءة أدبيات الإرهاب، يبدو جلياً بأن الدين كان الدافع الحقيقي للفرد؛ للإقدام وبذل الغالي والنفيس والتضحية بكل شيء، ولا شك بأن ذلك تم بعد تحويل النصوص الشرعية وعسفها إلى نصوص، تدعم العنف وتدعو إلى قتل مسلمين أبرياء يشهدون بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وصل الإرهابي لهذه المرحلة نتيجة جرعات مركزة ومكثفة لخطاب دعوي متشدد متزمت امتد عقوداً، خطاب إقصائي يحمل تفسيراً ضيقاً للولاء والبراء، هذه الجرعات النارية المركزة التي يتلقاها الشاب يومياً لا بد من أن تتراكم وأن يكون لها أثر على المجتمع في زمان ومكان معينين. هذا الإرهابي الذي يفجر نفسه لا يولد في يوم وليلة، بل يمر بفترة تنشئة وشحن مستمر ومركز ينقله، من حال عادية إلى أخرى تفضّل الخلاص من الحياة.



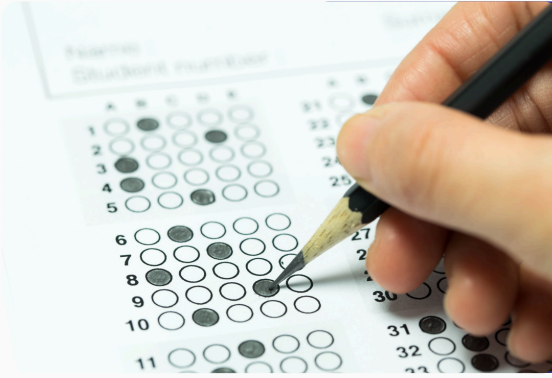
للإعلام دور في تشكيل قنوات الناس وأفكارهم، ولكن حتى تخاطب فئة معينة يجب في البداية أن تعرف خصائص هذه الفئة وديموغرافيتها. تجب معرفة من يقوم بهذه العمليات؟ وكم أعمارهم؟ وكيف هي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية؟ يجب أن نتعرف على خصائص هذا الجمهور حتى نصل إليه مثل ما وصل إليه الإرهابيون. بالملاحظة وقراءة بيانات وزارة الداخلية تبين أن وسائل التواصل الاجتماعي كانت أحد أهم الوسائل التي عُرِر من خلالها بهؤلاء الشباب، إذَنْ، ما الحل؟ ما المنابر والوسائل التي يستخدمها هذا الشاب للحصول على المعلومات والأفكار؟ ما الوسائل التي يستخدمها حتى نصل إليه عن طريقها؟ وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت ساحة حرة للإرهابيين؛ للتعبير عن أفكارهم وتسويقها على الشباب، بل وطريقة للتواصل والتنسيق معهم، هناك أكثر من 46 ألف حساب لمؤيدي تنظيم داعش في «تويتر» والعدد يزداد يومياً، في «يوتيوب» هناك أكثر من 1.7 مليون مقطع لـ «داعش»، عدد التغريدات بشكل عام في «تويتر» عام 2009 وصلت إلى مليوني تغريدة، وفي عام 2014 وصلت إلى أكثر من 500 مليون تغريدة يومياً، أي بمعدل مليوني تغريدة في أقل من 6 دقائق، كيف يمكن فلترة ومراقبة هذا العدد الموهول وكم شخصاً تحتاج إلى مثل هذه المهمة؟ الحل يكمن في عمل إستراتيجية وطنية لمكافحة الإرهاب والتطرف تشارك فيها كل مؤسسات المجتمع، ولكن في الوقت الراهن وكحل سريع يجب عمل حملة طويلة على كل وسائل التواصل الاجتماعي حتى تصل إلى كل شاب لبث رسائل إقناعية عميقة المحتوى قصيرة الوقت. الحل يكمن في مزاحمة أصحاب الفكر الظلامي الإرهابي في هذه المنصات، وإيجاد محتوى عميق ومقنع وبسيط، رسائل تهز العقل والفكر، يجب أن يكون لنا دور استباقي ووقائي. وأضاف د. م. نصر الصحاف إلى ما جاء بمقال أ. عبدالله بن كدسة تلك ديموغرافية الدواعش غير المسلمين لتكتمل الصورة وإيجاد القاسم المشترك الذي يجمع بين الشباب المحلي والخارجي للانضمام تحت راية الإرهاب.

واتفق أ. خالد الحارثي مع القول بأن منظومة مكافحة الإرهاب يجب أن تشمل الجزء الأمني بكافة أطرافه من التحريات والتحقيقات والمحاكمات والإدانة وتنفيذ الأحكام بالإعدام وأيضاً إصلاحات السوق التي تقلص من العمالة الأجنبية وترفع الأجور والمزايا والاستقرار الوظيفي. إن بقاء الحل الأمني على قمة الحلول لا يشكل منظومة متوازنة تستفيد من بعضها البعض بل يهمل بقية الجهود وآراء علماء الاجتماع الذين يزدون من قوة المنطق الذي يقول به رجال العلوم الإدارية في الإصلاحات الاقتصادية والعمالية.



الاختبارات النفسية الفكرية واكتشاف بؤادر التدعشن:

أضافت أ. فائزة الحربي أن العجيب أنهم أي بعضاً ممن يتبنون الفكر الداعشي- في حياتهم أمثالنا لا يختلفون عنا لا نستطيع أن نميزهم إلا بمناقشتهم والتعرف على فكرهم .. حقيقة الوضع صعب جداً ويزداد سوءاً. وعليه فقد اقترحت فرض اختبارات نفسية فكرية في المدارس والجامعات بشكل دوري فصلي لاكتشاف بؤادر الفكر المتطرف في الشباب قبل استفداله مع وضع آلية لعلاج هذه الأفكار في كل مرحلة ويتم إنشاء جهاز خاص معني بذلك يضم خبرات من كل التخصصات والجهات المعنية.



واختلف أ. خالد الحارثي مع هذا الرأي بقوله:
لا أتفق مع فكرة الاختبارات النفسية ..
كيف يمكن لمراكز الاختبارات النفسية
لتكون أدلة جنائية؟ المحاكم في العالم
أجمع لا تأخذ بنتائج جهاز كشف الكذب
فكيف بغيره .. لا نحارب الإرهاب بالنازية.

بينما أوضح د. علي الحكمي أنه يمكن قياس الاتجاهات، لتعطي دلالات عامة، ولكن لا يمكن بناء قرار عليها لشخص معين إلا بوجود مؤشرات وبيانات أخرى ذات علاقة بالمتغير الذي نريد قياسه. هناك تحيز في القياس اسمه SOCIAL DESIRABILITY المرغوبة الاجتماعية ويعني أن ينزع المقياس (وخاصة مقاييس الاتجاهات) لإعطاء إجابات مرغوبة ومقبولة اجتماعياً، وليس ما يعبر عن اتجاهاته بالفعل. هذا ما يجعل مثل هذه المقاييس غير ثابتة وغير صادقة في أحيان كثيرة.. وبالفعل مقياس كشف الكذب غير دقيق ولا يعتمد عليه.

أما د طلحه فدعق فقالت: اتفق على أهمية القياسات النفسية والبحوث الاجتماعية لكن حقيقة سيكولوجيا الإرهاب والجريمة هو علم وله تفرعاته وأرجو أن تستفيد فعلاً من السيكيولوجيين السعوديين -مع احترامي لهم ولدورهم المفقود أو المغيب-. أيضاً موضوع البحوث الكمية وقياسات الاتجاهات وخلافه من وجهة نظري لن تعطي سوي صورة عامة لكن نحتاج لبحوث كيفية عالية الجودة على نفس مستوى ما يقدم في مراكز البحوث الغربية .. كثيراً ما تؤرقني كلمة (لكن) لأنها غالباً تكون الفاصل بين الواقع والمأمول ونظل دوماً ندور في هذه الدائرة.



وأيد د. على الحكمي ذلك وأضاف بدوره أن المختصين في علم النفس والاجتماع السعوديين موجودين لكن يحتاجون الفرصة التي يهيمن عليها الحرس القديم والشللية.

وترى د. سامية العمودي أنه وعلى كثرة مراكز التميز البحثية في الجامعات وأيضاً الكراسي العلمية إلا أن مخرجات بعضها لم تحقق المأمول منها في ملامسة قضايا المجتمع خاصة المستجدة منها.

واتفقت د. طلحة فدعق مع ذلك وأضافت: بل أن بعضها لا يتواءم مع مسماه ككرسي أو مركز بحوث، كما أن كل مخرج لا نستطيع تقييمه باعتباره بحثاً علمياً رصيناً. كما اتفقت مع ما ذكره د. علي الحكمي حيث قالت: على الأقل فيما يتعلق بعلم الاجتماع كوني انتمي له ... أنا لا أرى لدينا مدرسة سعودية ولا عربية أيضاً للسياسيولوجيا وما لدينا هو (إعادة للقديم من مفاهيم مدرسة معينة...)....

نحتاج إلى الخروج من الصندوق التقليدي على مستوى المفاهيم وأدوات البحث والأطر التحليلية الكمية ... لنأخذ ما أنتجته مدارس السيكيولوجيا ونقولبه ليتفق مع احتياجاتنا.

وأيد أ. خالد الحارثي ما ذهبت إليه د. طلحة حول أهمية دخول القياسات الكمية والبحوث الاجتماعية بالأطر النظرية الحديثة التي أصبحت صلب صناعة القرار في العالم المتقدم اليوم، ويعتقد أ. خالد أننا سنحقق نجاحاً "اختراقياً" كما حققته المؤسسة الأمنية في مطاردة الخلايا النائمة البائدة في النشاط والحركة، وهنا يأتي الدور الآخر لعلماء النفس وعلماء الاجتماع الذين يعتمدون الأطر النظرية الحديثة التي تأخذ بتحليل وقياس المقومات الأيكولوجية لتقرأ الواقع وتفرعته.



المشاركون

- السفير أ. أسامة نقلي
- د. الجازي الشبيكي
- م. حسام بحيري
- د. حسين الحكي
- د. حمد الماجد
- د. حميد المزروع
- د. خالد الرديعان
- أ. خالد الوابل
- د. خالد بن دهيش
- أ. خالد الحارثي
- د. زياد الدريس
- م. سالم المري
- د. سامية العمودي
- اللواء د. سعد الشهراني
- أ. سعيد الزهراني
- أ. سمير الزهراني
- د. طلحة فدعق
- د. عائشة حجازي
- أ.د. عبدالرحمن العناد
- د. عبدالرحمن الهدلق
- د. عبدالسلام الوايل
- أ. عبدالله آل حامد
- د. عبداللطيف العوين
- د. عبدالله الحمود
- أ. عبدالله الضويحي
- أ. عبدالله بن كدسه
- د. علي الحكي
- أ. علي عبدالله بن علي
- أ. فاطمة الشريف
- د. فايز الشهري
- أ. فايزة الحربي
- د. فاطمة القرني
- د. فهد الحارثي
- أ. كوثر الأربش
- أ. ليلى الشهراني
- د. محمد السلمي
- د. مساعد المحيا
- د. مسفر السلولي
- أ. مسفر الموسى
- أ. مطشر المرشد
- د. منصور المطيري
- د. منى أبو سليمان
- د. ناهد طاهر
- د.م. نصر الصحاف
- أ. هادي العلياني
- أ. يحيى الأمير
- أ. يوسف الكويليت



ملتقى أسبار

Asbar Council

(نادي تفكير)

تأسس الملتقى في 28 يونيو 2015م



@MultaqaaAsbar



@Multaqaa_Asbar



<https://cutt.us/U0nnC>



00966114624229



www.asbar.com